السبت 17 كانون الأول 2022
العدد 4805 السنة السابعة عشرة
Samedi 17 Décembre 2022 no 4805 17ème année

24 صفحة
10000 ليرة

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com

كلمات

طلال سلمان
المصاب بالأمل...

اجتماع سعودي - فرنسي في باريس لبحث الملف الرئاسي [3]

عون ينتظر مبادرة الحزب وينصح بتدخل المجلس النيابي في ملفي الحكومة والرئاسة [3]

نصرالله: حريصون على التفاهم [2]

(أرشيف ـ مروان طحطح)

البلاد

ملف
النكبة في الإعلام الأميركي
مناهج التشويه والإنكار
[12-13]

إسرائيليات
الكيبوتس
تجربة «الصهاينة الماركسيين» في استيطان فلسطين
[14]

فلسطين
تهديدات المقاومة تشغل العدو:
عودة مفاوضات الأسرى
8

قضية اليوم

نصر الله

مشاركتنا في جلسة الحكومة لم تكن رسالة وحريصون على تفاهم مار مخايل

غسان سعود

في لقاء طويل مع فريق العمل الحكومي في حزب الله، قبل بضعة أيام، كان الأمين العام السيّد حسن نصر الله واضحاً وجازماً في ثلاث نقاط رئيسية:

أولاً، لبنان بشكله الحاليّ وجغرافيته وتعدّديته هو الوطن النهائي لجميع أبنائه، ولا نريد فيه أن نكون الحزب القائد ولا الطائفة القائدة، وإنما شريك كامل متكامل في الحقوق والواجبات، لا أكثر ولا أقل.

ثانياً، لن نخرج من التفاهم مع التيار الوطني الحر إلا إذا (...) أراد التيار ذلك.

لبنان وطن نهائي لجميع أبنائه ولا نريد أن نكون الحزب القائد ولا الطائفة القائدة

ثالثاً، لا صحة لكل ما شاع عن أن الجلسة الأخيرة لمجلس الوزراء كانت رسالة سياسية أو صفعة أو غيرها مما وصفت به «موقفي أقوله أمام الله. وُضعنا من أقرب المقرّبين إلينا في القطاع الاستشفائي بخطورة ما تواجهه المستشفيات عموماً ومرضى السرطان خصوصاً، كما قطاع الاتصالات عموماً وهيئة أوجيرو وخدمة الإنترنت خصوصاً، في حال لم تنعقد الجلسة. أجرينا اتصالات مع النائب جبران باسيل الذي كان حاسماً برفض انعقاد الجلسة بناءً على موقفه باعتبار الحكومة مستقيلة. فيما رئيس الحكومة في المقابل كان مصرّاً على أن تيسير هذه الأمور لا يتحقق إلا بعقد جلسة.

(هيثم الموسوي)

عملنا على تصغير جدول الأعمال، وبين رفض الوزير باسيل وإصرار الرئيس نجيب ميقاتي، اخترنا أن نقوم بما يسهّل تلبية حاجات الناس، مع تفهم عدم المشاركة العونية، من دون أن تكون لذلك أي أهداف سياسية أو رسائل أو غيرها، وخصوصاً أن التواصل كان قائماً بهذا الشأن مع باسيل». وتابع السيد: «فجر يوم الجلسة، كانت المعلومات تشير إلى نجاح باسيل في تعطيل الجلسة عبر مقاطعة ثلث الوزراء، ومن جهتنا لم نستنفر أو نجر أيّ اتصالات لعقد الجلسة. ورغم الوضع الطارئ، كنا نعتقد بأن إلغاء الجلسة يمكن أن يفتح الباب أمام خيارات أخرى، لكننا فوجئنا لاحقاً بحضور عضو تكتل لبنان القوي وزير الصناعة (جورج بوشكيان) الذي أمّن النصاب».

وإذا كان الاقتباس ينتهي هنا، فإن مطّلعين على أجواء الحزب يلفتون إلى أن أحداً لا يمكنه أن يمنع التيار من الخروج من تفاهم مار مخايل إذا كان هذا ما يريده. وإذا كان كثيرون يتوقفون عند خلفيات انزعاج التيار من الحزب، فإن لدى الحزب أسباباً للانزعاج أيضاً، وتحديداً في ثلاثة أمور:

أولها، عدم تفويت التيار مناسبة من دون إلقاء أسباب فشل عهد الرئيس ميشال عون على حليف حزب الله الرئيس نبيه بري وحده، على نحو بات يوحي وكأن الحزب هو من أفشل العهد وحمى الفساد، لا الحصار الأميركي والعقاب الجماعي للشعب اللبناني وممارسات كثيرة أخرى يتحمل الجميع مسؤوليتها من دون استثناء، وهذا ما لم يعد يجوز التغاضي عنه وخصوصاً أنه ينسجم بالكامل مع رواية المجتمع المدني والإعلام المعادي للعونيين أنفسهم وللحزب.

ثانيها، إصرار الرأي العام العوني تكراراً على أن تفاهم مار مخايل حمى أو يحمي المقاومة، فيما الواقع في حسابات المقاومة أن التفاهم عزّز موقف الحزب وحضوره وأعطى زخماً لقضيته وفتح آفاقاً جديدة للعمل السياسي في لبنان، لكن المقاومة تحمي نفسها بنفسها. ورغم تقديرها الكبير لسياسة التفاهمات، فإن من ضحّوا بالشهداء لا يستسهلون تكرار ما يقوله بعض السياسيين والإعلاميين بأنهم حموا المقاومة. وإذا كانت بيئة التيار تمرّ على هذا التفصيل مرور الكرام، فإنه بات مثار حساسية لدى المقاومة.

أما ثالثها فيرتبط بالتسريب لباسيل من فرنسا. إذ تؤكد المصادر أن النقاش في الاستحقاق الرئاسي وتحديداً ترشيح رئيس تيار المردة النائب السابق سليمان فرنجية لم يكن قد اختتم بالكامل في اللقاء الأخير بين نصر الله وباسيل، وأنهما اتفقا على مواصلة النقاش لاحقاً، قبل أن يأتي كلام باسيل ليوصد الأبواب أمام الـ«لاحقاً». وهو ما تكرر في أكثر من ملف خرج إلى الإعلام، سواء تسريباً أو مباشرة، قبل انتهاء النقاش فيه. وهنا ثمة تضارب بين وجهتَي نظر القياديتين، حيث تعتقد قيادة التيار أن النقاش كان قد اختتم بالفعل. مع العلم أن تسريب باسيل مثّل إحراجاً كبيراً للمدافعين بقوة عن باسيل في قيادة الحزب.

وإذا كانت هذه النقاط شكلية إلى حد ما، فإن النقطة الأساس في المضمون تتعلق بالاختلاف الأول من نوعه في التقييم السياسي للمرحلة الحالية وخريطة الطريق الخاصة بالمرحلة المقبلة. فقد بات واضحاً أن للحزب تصوراً وللتيار تصوراً آخر. والتحدي الرئيسي هو ضبط هذا الاختلاف وإبقاؤه عند حدود معينة وعدم المسارعة إلى قطع خطوط التواصل والاتصال وفتح جبهات افتراضية للتيار. يُفرح أولئك الخصوم وبينهم في الحسبان أن ثمة مشكلة جدية وكبيرة بين الطرفين في ما يخصّ نظرة كل منهما إلى الآخر، وفي ما يخصّ التطمينات والضمانات والأولويات. ولا شك في أن الإيجابية الرئيسية اليوم تكمن في قول الحزب إنه لن يخرج من التفاهم إلا إذا أراد التيار ذلك، تماماً كما يقول التيار إنه لن يخرج من التفاهم إلا إذا أراد الحزب ذلك. إذ لا يريد أيّ منهما تحمّل مسؤولية كونه السبّاق في الخروج، وهو ما يمنحهما الوقت سواء لإعادة صياغة تفاهم جديد قبل ذكرى التفاهم القديم في 6 شباط أو لتأمين خروج هادئ بالتكافل والتضامن من التفاهم.

تقرير

طرابلس: هل يفوز «مفتي التوافق»؟

عبد الكافي الصمد

لا تشبه انتخابات مفتي طرابلس والشمال غداً، ضمن الانتخابات التي دعا إليها مفتي الجمهورية الشيخ عبد اللطيف دريان، أيّ انتخابات سابقة للإفتاء أو لأعضاء المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى. إذ إنها أوّل انتخابات منذ نحو ثلاثة عقود.

وقد أدى غياب تيّار المستقبل عن الاستحقاق بأعضائه في الهيئة الناخبة (138 عضواً)، إلى الانكفاء عن التدخّل مباشرة، وإلى الالتحاق بأحد الأطراف السياسيين لحماية مواقعهم ومصالحهم، وكانت وجهة أغلبهم رئيس حكومة تصريف الأعمال نجيب ميقاتي الذي يُشكّل مع شخصيات وقوى سياسية سنّية بارزة أهم الأطراف التي تعمل على ملء فراغ غياب الحريري وتيّاره، إنْ لم يكن على وراثتهما.

وفيما كانت المنافسة في انتخابات 2008 التي أوصلت المفتي عبد اللطيف الشيخ مالك الشعّار إلى المنصب وفي انتخابات المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى عام 2016، تدور بين فريقَي 8 و14 آذار على الساحة السنّية في طرابلس والشمال، يغيب هذا الانقسام تماماً هذه المرّة مع انسحاب تيّار المستقبل من المشهد العام، فضلاً عن أنّ المرشحين السبعة للمنصب يشبهون بعضهم بعضاً، من حيث التوجّهات وعلاقاتهم مع القوى السياسية والدينية.

ومع أنّ الأنظار توجّهت إلى ميقاتي كونه المؤثر الأبرز في انتخابات مفتي عاصمة الشمال، إلا أنه لا يزال متكتماً في إعلان خياره. وقالت مصادر مقربة منه لـ«الأخبار» إنّه «على مسافة واحدة من جميع المرشحين، مع ميله إلى انتخاب من يدعمه المفتي عبد اللطيف دريان للمنصب». لكنّها لفتت إلى أن رئيس الحكومة «يُفضّل حصول توافق حول المفتي المقبل، ليس لقطع الطريق على أحد، بل لأنّ التنافس سيجعل الفائز يفوز بعدد قليل من الأصوات، فيصل ضعيفاً وبلا إجماع واسع حوله». ولفتت إلى أن التنافس يدور بين 4 مرشحين، هم: أمين الفتوى الحالي وقائمقام المفتي الشيخ محمد إمام، قاضي المحكمة الشرعية السنّية الشيخ سمير كمال الدين، إمام مسجد الغدير عضو المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى المولى الشيخ مظهر الحموي وإمام مسجد السلام الشيخ بلال بارودي، أما المرشحون الثلاثة الآخرون فهم يخوضون الانتخابات لتسجيل الموقف أكثر من طموحهم للفوز.

وفي حين أنّ كل المرشحين يسعون إلى استمالة أعضاء الهيئة الناخبة إليهم، مبتعدين عن أيّ موقف سياسي أو ديني حاد ونافر، فإنّ بارودي يكاد يكون وحده من خارج هذا الاصطفاف، وهو يلقى تأييداً من النائب أشرف ريفي، ويُشاع أنّ السفارة السعودية تدعمه وصوله، لكن من غير أن يترجم هذا الدعم عملياً حتى الآن، بالتزامن مع موقف أبلغه إيّاه ميقاتي بأنّه لا يحبّذ وصوله بسبب مواقفه التي وصفها بـ«المتطرفة».

ينطلق الشيخ إمام في ترشّحه من أنّه تبوّأ منصب الإفتاء في طرابلس بالوكالة مرتين، بعد انتهاء ولايتي المفتيين السابقين عبد الصابونجي ومالك الشعّار، ويأمل أن تكون انتخابات يوم غد تثبيتاً له في موقعه، مستنداً إلى تأييد، علني على الأقل، من قسم لا يستهان به من الهيئة الناخبة.

أما الحموي فيعتمد على حضوره وتواصله الشخصي مع أعضاء الهيئة الناخبة، ويستند كمال الدين الى تأييد عدد كبير من أعضاء الهيئة الناخبة الذين نسج معهم علاقات جيدة، فضلاً عن أنه يحظى بدعم النائب فيصل كرامي، علماً أن مصادر الأخير أكّدت أنّه «يُفضّل التوافق على اسم بين المرشحين: إمام وكمال الدين، كونهما يشبهان طرابلس، ولا نريد أن ينكسر أحدهما».

غير أنّ انتخابات مفتي طرابلس والشمال لا تحسمها أصوات المدينة وحدها. فقضاء المنية - الضنية يمثّل أعضاؤه من مشايخ ونوّاب ورؤساء بلديات وقضاة ومديرين عامين أكثر من ثلث الهيئة الناخبة، وقد بيّنت انتخابات المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى عام 2016 أنّهم يشكلون «بيضة القبّان»، لذلك تتجه الأنظار إليهم لمعرفة الخيار الذي سيستخدونه، فضلاً عن أصوات قليلة لأعضاء الهيئة الناخبة موزعة بين أقضية زغرتا والكورة والبترون.

في الواجهة

إذا تدخّل عون بين باسيل وحزب الله؟

نقولا ناصيف

اليوم «تفاهم مار مخايل»، عند بعض مؤيّداً وعند بعض آخر مكروهاً، أكثر من مهتزّ. ربما لا فضل في تحالف حزب الله وحركة أمل كونهما في الطائفة نفسها والقضية ذاتها وتداخل أنصارهما وبيئتهما الاجتماعية والسياسية، وإن اختلفا في فكرة العقيدة الدينية كأن يذهب أحدهما إلى ولاية الفقيه والآخر في الاتجاه المعاكس. في قوى 14 آذار حدّث ولا حرج في انهيار تحالفات سياسية لم تعمّر، كما بين الرئيس سعد الحريري وحزب القوات اللبنانية وبينه وبين وليد جنبلاط، وكذلك بين جنبلاط والقوات اللبنانية ما إن تصعد عالياً تهبط سريعاً.

نجاح تجربة «تفاهم مار مخايل» بين حزب الله والتيار الوطني الحر، أن كلاً منهما أراد منه ما يطلبه لنفسه. من بعض ما قيل عند الحلفاء والخصوم، الرئاسة في مقابل حماية المقاومة. الرئيس ميشال عون يقول إن التفاهم كلف التيار ثمناً باهظاً هو خسارته 10 آلاف صوت من أنصاره، لكنه أعطى البلاد الاستقرار. بيد أن التجربة هذه، الموزّعة على داعمين وكارهين، ليست على ما يرام. وقد تكون في خطر حقيقي في ما بعد.

كلا الطرفين في قطيعة. كلّ منهما ينتظر تقدّم الآخر إليه خطوة كي يبادر بدوره. إلا أن لا خطوة أولى بعد. وفرة الأخطاء المرتكبة المتبادلة تحمل كليهما على التريث، فيما هما في صدارة الاستحقاقات. في صلب مشكلة «تفاهم مار مخايل» أن طرفيْه محاطان بالخصوم مسيحيين ودروزاً وسنّة، ناهيك بنصف الثنائي الشيعي المناوئ للتيار. يُفرح أولئك الخصوم وبينهم أعداء سقوط التجربة تلك والشماتة بها. أما العامل المستجد فخروج التيار من الحكم بانتهاء ولاية عون، وتحوّله من ثم . وإن أكبر الكتل النيابية . واحداً من أفرقاء آخرين بلا الامتياز الذي رافقه طوال ست سنوات منصرمة، على أنه الحزب الحاكم. على الأقل حيال الدور الذي أضطلع به رئيس التيار النائب جبران باسيل.

مع ذلك في فم التيار ماء كثير. ربما الأصح أن يقال إن في فم الرئيس السابق للجمهورية ماء كثيراً أيضاً، هو الذي يراقب الخلاف الناشب بين حزبه والحزب الحليف.

مَن يطلع على موقف عون يلمس امتعاضه. إلى الآن لا يوحي أنه في صدد أي موقف من الخلاف. لا يعتزم الاتصال بأحد في الحزب، ولم يصر إلى التواصل معه. طوال ولاية السنوات الست لم يلتقِ مرة الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله. مرتان فقط تكلما هاتفياً، أولى عندما عايده نصرالله في عيد، فرد عون مكالمة المعايدة في العيد التالي. لا أكثر ولا أقل. ما خلا ذلك استقباله نواب الحزب. لكنه يقول إنه ينتظر موقفاً منه، إلا إذا بدا أنه لم يعد في حاجة إلى التفاهم.

بيد أن المطلعين على موقف الرئيس يشعرون بأنه «مجروح»، هو الأب الفعلي للتفاهم مع الحزب. أحياناً أكثر من ذلك، كأن يقول إنه «مطعون». لحزب الله دور إيجابي في وصوله إلى رئاسة الجمهورية، بيد أن له كذلك دوراً سلبياً في عدم دعم العهد على النحو المتوقع والمتوخى. يأخذ عليه إخلاله بالبند الرابع في وثيقة التفاهم الموقعة في 6 شباط 2006، المدرج فيه «بناء الدولة» ومقتضياته المرتبطة بمكافحة الفساد واستقلال القضاء ومعايير العدالة واحترام عمل المؤسسات الدستورية وإبعادها عن التجاذبات السياسية وتفعيل مؤسسات الرقابة وفتح التحقيقات القضائية واسترجاع المال العام المنهوب. لم يلمس عون أن الحزب ساعده على تطبيق البنود تلك المتفق عليها، وكانت في قلب التفاهم كما الوقوف إلى جانب المقاومة ودعمها. لم يكن إلى جانبه في حملته لمكافحة الفساد، وأشغل نفسه بالسياسة وحماية قوى ضالعة في الاستمرار في الفساد. ما يحرص على قوله إنه الوحيد الذي كان إلى جانب حزب الله والمقاومة في حرب تموز 2006، بينما الأفرقاء الآخرون ضده: «عندما ربح الحزب ربحت معه وكنت الداعم له وطنياً وإعلامياً. ولو خسر لكنت خسرت معه. في الحالين ساكون معه سواء ربح أو خسر. على المسيحيين أن يعيشوا معه سواء ربح أو خسر».

يفضّل عون، تبعاً للمطلعين على موقفه، إعطاء بعض الوقت حتى يبرد الخلاف قليلاً. يدافع عن وجهة نظر باسيل، ويعتقد أن التباين لم ينشأ أخيراً. في ما يقوله إن التحالف مع حزب الله وراء العقوبات الأميركية على باسيل. سمع ذلك مباشرة من وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو عندما استقبله في قصر بعبدا في 22 آذار 2019 بطلب منه تخلي باسيل عن التحالف مع حزب الله تفادياً لفرض عقوبات أميركية عليه. سرعان ما صار إلى فرضها بعد أشهر في 6 تشرين الثاني 2020. يومذاك قال عون للوزير الأميركي: «ماذا يضرّك أن يجتمع نائب لبناني بنواب لبنانيين على أراض لبنانية؟ تريد معاقبته لأنه يتحدث معهم؟». جواب يومبيو أن على باسيل «قطع العلاقة».

في الأشهر الأخيرة، خصوصاً في مرحلة تأليف حكومة نهاية الولاية، بحسب عون، كان في وسع الحزب ممارسة ضغوط للوصول إلى حكومة جديدة ترضي الأفرقاء جميعاً. بيد أنه اكتفى بالطريقة التي تعامل بها معه آنذاك الرئيس المكلف. ما يُروى عن الرئيس

عون «مجروح» من إخلال حزب الله بالتفاهم وتخليه عن العهد

السابق في الزيارة الأخيرة لميقاتي لقصر بعبدا في 25 تشرين الأول، في الأسبوع الأخير للولاية، يختصر الموقف السلبي لحزب الله من تأليف الحكومة. يومذاك قال عون لميقاتي: «ساصارحك. تذهب إلى نبيه برّي وتعطيه ما يطلبه من حقائب دونما أن يعطيك أسماء وزرائه. تذهب إلى حزب الله تفعل الأمر نفسه وتعطيه ما يطلبه ولا يعطيك الأسماء. تذهب إلى وليد جنبلاط. أما الحصة السنّية فتأخذها كلها. عندما تأتي إليّ لمناقشة حقائب الوزراء المسيحيين تتصرّف كأنك وصي. إذا أردت تأليف حكومة، أنا مَن يسمّي الوزراء المسيحيين وليس أنت».

المشكلة الراهنة التي طفحت بها الكأس اثنتان: ترشيح حزب الله سليمان فرنجية لرئاسة الجمهورية وهو ما يرفضه الرئيس السابق ورئيس التيار الوطني الحر، واجتماعات الحكومة المستقبلة التي يرفضانها كذلك. إلا أن عون يملك جواباً مزدوجاً لتذليل المشكلة المزدوجة بين الحليفين ونجدة التفاهم:

أولهما «لأن ثمة سلطتين دستوريتين معطلتين هما رئاسة الجمهورية ووجود حكومة مستقيلة لا يسعها تسلم صلاحيات الرئيس، يبقى مجلس النواب الحل كونه السلطة الدستورية الشرعية العاملة . هو الذي ينتخب الرئيس وينبثق منه الرئيس المكلف ويمنح الحكومة الثقة . بأن يجتمع وينظر في اتخاذ موقف يشرّع لحكومة تصريف الأعمال الاجتماع أو عدمه. قد يقال بفصل السلطات وأن لا علاقة لمجلس النواب باجتماعات السلطة الإجرائية. صحيح. لكن الصحيح أيضاً أننا في ظروف استثنائية وهو السلطة الدستورية الأخيرة المعوّل عليها».

ثانيهما الاتفاق على مقاربة انتخابات رئاسة الجمهورية بعيداً من الخيارات المسبقة. التخلص من ترشيح فرنجية و«التفاهم بين الحزب والتيار على خوض انتخابات رئاسة الجمهورية باتفاقهما على الرئيس».

حلا عون لإنقاذ التحالف: تشريع البرلمان اجتماعات الحكومة والاتفاق على الرئيس المقبل (هيثم الموسوي)

المشهد السياسي

لقاء سعودي – فرنسي حول رئاسة لبنان

- سعودياً عقد أول من أمس في باريس للتباحث في وضعية الشغور الرئاسي ومحاولة إيجاد ورقة مشتركة بين الطرفين، علّها تكون مفتاح التوافق مع الرياض في ما يتعلق بالأزمة اللبنانية ككل». وقالت مصادر مطلعة إن اللقاء «ضم كل من المستشار الرئاسي باتريك دوريل والمستشار في الديوان الملكي السعودي نزار العلولا ورئيس المخابرات خالد الحميدان ومسؤولين آخرين من الجانبين»، مشيرة إلى أن «اللقاء لم يثمر عنه أي اتفاق»، بخاصة وأن «الموقف السعودي لا يزال حتى الآن غير واضح أو محسوم»، لكن «إيجابية انعقاد اللقاء تكمن في أن الرياض بدأت تتعامل مع المبادرة الفرنسية الطريق مسدود بالكامل أمام أيّ اختراق قريب في الملف الرئاسي. حتى الحوار الذي دعا إليه الرئيس نبيه بري اصطدم برفض أكبر كتلتيْ مسيحيتيْن «التيار الوطني الحر» و «القوات». لكن الانسداد الداخلي لا ينسحب على ما يجري في الخارج.

وبينما انشغلت بيروت بالحادث الذي تعرّضت له الكتيبة الإيرلندية العاملة في قوات الطوارئ الدولية (اليونيفيل)، وأدى إلى مقتل أحد جنودها وإصابة ثلاثة آخرين بجروح، كما إصابة مدني لبناني بهدماً من القوة الدولية، إلا أن فرنسا واصلت مساعيها لفتح الأبواب أمام مبادرتها الرئاسية.

وعلمت «الأخبار» أن «لقاءً فرنسياً بليونة أكبر وتظهر استعداداً للتفاهم حولها بعد أن رفضت مراراً هذا الأمر ووضعت سقفاً عالياً في مقاربتها للتعامل مع لبنان».

من جهة أخرى، اتجهت الأنظار أمس

دعوات وزارية لميقاتي لعدم عقد جلسة حكومية جديدة لاحتواء التوتر

إلى اللقاء التشاوري الذي عقده رئيس الحكومة نجيب ميقاتي في السراي الحكومي، وحضره غالبية الوزراء بالإضافة إلى وزراء التيار الوطني الحر الذين قاطعوا جلسة مجلس الوزراء الأخيرة. في الجلسة التي غاب عنها كل من وزير المال يوسف خليل، نائب رئيس الحكومة سعادة الشامي، وزيرة التنمية الإدارية نجلا الرياشي ووزير الصحة فراس أبيض، طالب وزراء التيار الوطني الحرّ «باعتماد صيغة المراسيم الجوالة لتسيير أمور اللبنانيين، وتم البحث بالآلية التي سيتم اعتمادها لتوقيع هذه المراسيم وإذا كانت تستوجب توقيع كل الوزراء أم الوزراء المعنيين فقط» وفق ما قالت مصادر وزارية. وقالت المصادر أنه جرى «الاتفاق على تشكيل لجنة مؤلفة من الوزراء مرتضى والحلبي والمولوي وخوري ومن المفترض أن تبدأ اجتماعاتها لتحديد المواضيع الضرورية»، مشيرة إلى أن سبب اختيار الوزراء المذكورين أتى لكونهم قضاة ودورهم تحديد جدول الأعمال لأي جلسة ممكن أن تنعقد لاحقاً في حال الضرورة. وعن هذه النقطة، قالت المصادر إن «عدداً من الوزراء نصح ميقاتي بعدم توجيه دعوة إلى الحكومة للاجتماع في هذه الظروف لأن الأجواء لا تزال متوترة، وذلك رداً على تبرير ميقاتي لموقفه الذي دفعه إلى الدعوة سابقاً».

(الأخبار)

على الغلاف

«العربية» لغة للحياة

يحتجّ متعلّمو اللغة العربية بأنها صعبة وكثيرة القواعد وغريبة عن اليوم. في المقابل، يزايد بعض معلّميها بأنها اللغة الأصعب في العالم. وكأن ذلك مدعاة للتفاخر. وفيما تسعى مجامع لغوية أخرى إلى تبسيط لغاتها مواكبة للعصر، تبدو أزمة «العربية» من أزمة تعليمها وتقديمها بطرق ناشطة ومبتكرة ومحبّبة للأطفال. فإغراق هؤلاء في تفاصيل نحوية وإملائية تنفّرهم من اللغة، وتجعلهم منفصمين عن واقعهم، وتصرفهم عن اكتساب مهارات أساسية، منها القدرة على مناقشة أي فكرة مشافهة وكتابة. سيدفع ذلك من يمتلك منهم فرصة القراءة بلغة أجنبية إلى الذهاب إليها حتماً لأن مستخدمها أكثر رشاقة وأقلّ تشنّجاً. هذا لا يعني أن اللغة العربية غير قابلة للإبداع والتأقلم وتحمل في ذاتها خصائص الانتشار والبقاء. فهي طيّعة الكلمات والاشتقاقات. والتحدّي يكمن في إخراجها من رتابة الصفوف إلى رحابة الحياة اليومية

أبعد من كتاب قواعد وجدول علامات

لماذا يشكو التلامذة من صعوبة اللغة العربية، ما دامت بحسب المشتغلين فيها لغة العقل والقلب، وتحتضن سمات السلاسة والسعة والسهولة من خلال الاشتقاق والترادف والإيجاز؟

فاتن الحاج

اللغة تعبير عن حضارة الشعوب الناطقة بها، تعيش وتنمو بتطوّرها. واللغة العربية عرفت تطوراً وانتشاراً، ابتداءً من القرنين السابع والثامن الميلادي، حيث انتشرت في مناطق الحكم الإسلامي وبلدان المشرق والمغرب، واستخدمتها شعوب كانت متقدّمة عليها حضارياً، مثل الفرس. وإنجازات الحضارة العربية في مجالات الفلك والطب والرياضيات والدراسات اللغوية والموسيقى (الأندلس) وغيرها، إضافة إلى انتشار الدين الإسلامي، كل ذلك جعل شعوباً متنوعة تستعمل اللغة العربية، أو على الأقل الحرف العربي، مثل الفرس والأتراك، حتى وقت قريب.

هذا يعني، بحسب الباحثة التربوية سهام أنطون، أن اللغة تكون قابلة للحياة عندما تكون الحضارة التي تحملها حيّة. «فاللغة التي لا تبدع ولا تنتج فكراً وعلوماً، تتراجع وتخسر من أهميتها وانتشارها».

تتماهى أنطون مع ما قاله المنظّر الأدبي الفلسطيني - الأميركي، إدوارد سعيد، لجهة أن «اللغة العربيّة لغة ثريّة، ولغة مرنة ومتألقة؛ أعظم كتابات الإغريق العلميّة والفلسفيّة على غرار أرسطو انتقلت إلى الغرب عبر الترجمات العربيّة، وهكذا وصلت إلينا، وهذا الحش باللغة بوجدنا، لأنّها لغة الدين والحياة اليوميّة ولغة المجاملة والمجتمع وإمكاناتها غير محدودة». إلا أننا اليوم لسنا في موقع المواجهة الحضارية، كما تقول، «إنما مطالبون بتذليل تحديات تعليم العربية، وجعلها محبّبة لدى الناشئة الذين تُفرض عليهم شيفرات البرمجة، كلغة تواصل سريعة».

تحديات «العربية»

الكلام عن الصعوبة لا يأتي من عبث، فهي موجودة، تقرّ أنطون، «وتكمن خصوصاً في ثنائية المحكي والمقروء، وفقدان الناطق باللغة العربية للكثير من الألفاظ المرتبطة بالعلوم، حتّى المستخدمة منها في الحياة اليوميّة، لأنّ الإنتاج العلمي والفكري في مجالات الطب والرياضيات والفيزياء والكيمياء والعلوم الطبيعيّة والتكنولوجيا وغيرها، وكذلك تعليمها في بلداننا، يجريان بلغات أجنبيّة، فتشيع مثلاً في لبنان ألفاظ test/scanner/mouse/chargeur.. بدلاً من مسحة/ أشعة/ فأرة/ شاحن..».

إلى ذلك، يجد التلامذة صعوبة في إتقان قواعد اللغة العربية بسبب كثرة الاستثناءات و«الشواذات» في الإعراب مثلاً، وهذا الأمر لا يتعلق بـ«العربية» فحسب، إنما باللغات القديمة، فعمر اللغة العربية يعود إلى الألف الأول قبل الميلاد، وهي واحدة من أقدم ثلاث لغات لا تزال حية وناشطة، بصورتها الأساسية، حتى اليوم، مع الصينية والعبرية. بل إن هناك لغات أحدث من «العربيّة» مثل «الفرنسية» أو «الإنكليزية»، تعاني من التحدي نفسه. المشكلة، برأي أنطون، هي في فاعلية عمل مجامع اللغة العربية «التي لا تلاحق تطوّر الحياة الحديثة وتبني عليه تعديلات وألفاظاً جديدة، وإذا فعلت ذلك، يكون ما تقدمه أحياناً غريباً، وغير متناسب مع تطوّر الحياة والمجتمع (مثل اقتراح اسم الشاطر والمشطور وما بينهما للتعبير عن السندويش)، وهي لا تعمل على تبسيط القواعد وحذف الاستثناءات، واعتماد الشائع وتعميمه، بل تختلف في ما بينها، وتصدر تعديلات متناقضة أحياناً فتتباين مثلاً، بعض قواعد كتابة الهمزة بين ما هو معتمد في مصر وما هو معتمد في بلاد الشام».

تقارن أنطون هنا بين عمل المجامع العربية ومجمع اللغة الفرنسية مثلاً الذي يصدر بشكل متواصل تعديلات تخفّف من الاستثناءات والتحديات التي تواجه التلامذة، فقد حذفوا مثلاً، في تعديل واسع جرى أخيراً، عدّة أحرف تُكتب ولا تُلفظ، وخفّفوا من كتابة بعض الإشارات مثل «الأكسان» (accent) وغيرها. «قوة اللغة العربية لأنها لا تحتوي على حروف تُلفظ تدريبية، وتصدر كتيّبات مساعدة للمعلّمين وتغرق المدارس بوسائط تعليم سمعية بصرية، في حين يجد معلمو «العربية» أنفسهم مجرّدين من أي طرق حديثة وموارد رقمية.

مع ذلك، يقتصر تطوير الطرق والأساليب على مبادرات فردية وعفوية، وليست، في أي حال، نتيجة سياسات دول ناطقة بهذه اللغة، لدرجة أن معلمي اللغة العربية يشعرون أنها لغة يتيمة، فلا من يرعى شؤونها ولا من يتابع ويحمل همّ تطوير تعليمها.

القواعد الوظيفية

في هذا السياق، تتحدث التربوية إيمان حنينة عن مبادرة قامت بها لتبسيط نصوص القراءة ورقمنتها في الكتاب الرسمي من خلال اختصارها، وجعلها محبّبة لقلوب الصغار، بما يحافظ على أحداث النص، والغاية المتوخاة منه، من دون أن يلقى ذلك أي اعتراض من المفتشين التربويين.

ميزة اللغة العربية أنها تحتضن، كما تقول، «سمات السلاسة والسعة والسهولة من خلال الاشتقاق والترادف والإيجاز، وذاك التناسق الصوتي بين ثلاثة صوائت قصيرة وأخرى طويلة، يدخل من خلالها الطفل في نسق صوتي منتظم في عالم الحروف»، إلا أن «الخلل الأساسي، تعليمياً، يكمن في (كيف) يتم تقديم المادة وما هي الطرائق المستخدمة، وما هي فعاليتها ومدى استمراريتها، لتأتي بعدها (ماذا)، والمتعلقة بالنص وموضوعه، وحجمه، ومدى جذبه لاهتمام التلامذة، إضافة إلى إقحام اللغة في تفاصيل نحوية وصرفية وإملائية تصرف الاهتمام عن المهارات الأساسية، ناهيك عن المبالغة في الأسئلة والتمارين، فتبقى فضلة الوقت للتعبير».

وتسأل حنينة: «ما الغاية من كلّ ما سبق إذا لم يتمكن المتعلّم في نهاية المحور من إبداء رأي أو مناقشة فكرة أو التعبير عن حالة شعورية مشافهة أو كتابة؟ فالقاعدة المعرفية المبسّطة تفتح، كما تقول، ممراً نحو القواعد الوظيفية، «فلا مبرّر لأن يتعرف المتعلّم إلى كل أنواع الفعل المعتلّ وأسمائه»، مشيرة إلى أن «المبالغة في التقعيد تؤدي إلى التعقيد وتحول دون نسج علاقة وجدانية مع اللغة العربية». وترى حنينة أن التحصيل يتأتّى مع التبسيط والتيسير ومخاطبة التلامذة وفق مستوياتهم وقدراتهم العقلية. وتبدو مقتنعة بأننا «نستطيع أن نفعل الكثير في الإمكانات المحدودة بين أيدينا، إذ إن تنقّل المتعلمين بين مهارات التواصل الشفهي إصغاءً وتعبيراً وإملائية تنفّرهم من اللغة، وتجعلهم منفصمين عن واقعهم، وتصرفهم عن اكتساب مهارات أساسية، منها القدرة على مناقشة أي فكرة مشافهة وكتابة. هذا لا يعني أن اللغة العربية غير قابلة للإبداع والتأقلم وتحمل في ذاتها خصائص الانتشار والبقاء. فهي طيّعة الكلمات والاشتقاقات. والتحدّي يكمن في إخراجها من رتابة الصفوف إلى رحابة الحياة اليومية

(أرشيف ـ بلال جاويش)

يجعلهم محور العملية التعليمية بحق. ففي تعليم العربية، يمكن المتعلم أن يغني، ويقرأ الطرائف، ويرسم، ويقدم المشاهد المسرحية، وينتج موارد رقمية بسيطة، ضمن منظومة أهداف تربوية وطنية قوميّة يضعها أهل الوطن، من دون إملاءات أو تدخل خارجي».

نقاط القوة

الباحث في اللسانيات واستراتيجية تعلّمية اللغة العربية، حسين عبد الحليم، يوافق على أن اللغة العربية كائن حيّ، وهي أبعد من كتاب قواعد أو جدول علامات. ورغم كلّ الواقع السيّئ، يبدو متفائلاً إلى مستقبلها، بالاستناد إلى بعض المؤشرات وعناصر القوة، ومنها تزايد المحتوى اللغوي العربي على الشبكة العنكبوتية، منذ بداية العولمة. «صناعة المحتوى في النصوص والأفلام وما تحتاج إليه من إتقان لألوان اللغة ومهاراتها ستكون محفّزاً للتداول باللغة العربية وانتشارها». ويعتقد عبد الحليم أن الاهتمام الأمني، أو التجسّس والتحليل اللغوي للنصوص المتداولة طوّر خدمات المعالجة الحاسوبية والترجمة الآلية، وانعكس ذلك على انتشار اللغة العربية وقوة الخدمات الداعمة لها.

للغة العربية، كما يقول، ميزات خاصة بها تساعدها على البقاء والانتشار، وإقناع العلماء اللغويين من خارجها، بها لكونها غنية بالمفردات، إذ تضم 12 مليون مفردة، في وقت لا تتجاوز فيه المفردات في لغات أخرى الآلاف. وبرأي عبد الحليم، اللغة العربية قابلة للابتكار ومجاراة العصر، وأقدر على البقاء في خضمّ تراجع وضعف اللغات الأخرى. «فاللغات مثل الفرنسية والإسبانية والصينية والإنكليزية قوية بقوة الإمبراطوريات والدول التي حملتها، وليس في القيم التركيبية والمعجمية. أما اللغة العربية فهي انتشرت عندما كان أهلها أقوياء، وهي تنتشر اليوم وأهلها ضعفاء، وذلك يعود إلى أن قيمها الذاتية تساعدها على البقاء».

اللّغة الأمّ: حنين يشدّ المغتربين إليها

فانيسا مرعي

من الصعب أن نجد من يُتقن اللغة العربية. لكن من الصعب أيضاً أن نجد بلداً ليس فيه عربيّ ينطق بهذه اللغة. في فرنسا، 17 عاماً قضتها مدرّسة اللغة العربية اللبنانية الأصل لينا لطيف في مجال التعليم، ولا تزال مستمرّة في هذه الرسالة. لطيف اختبرت خلال هذه السنوات تعليم لبنانيين ولبنانيات وجنسيات أخرى من مختلف الفئات العمرية بينهم طلّاب جامعات. تقول لـ«الأخبار» بعد خبرتها الطويلة: «بين تلاميذي من كبروا معي»، فمنهم من بدأ بتلقّي دروس في عمر صغير وواظب على تطوير مستواه اللغوي مع مرور السنوات. تشير لطيف إلى أن «اللغة العربية تعدّ لغة رابعة في فرنسا، ليست مدرجة في المناهج التربوية المدرسية، لكنّها موجودة كلغة اختيارية في بعض الجامعات». في المقابل، تلفت إلى وجود بعض المدارس الفرنسية الخاصة في باريس، وعدد من الجمعيات والمدارس اللبنانية التي تخصّص حصصاً لتعليم هذه اللغة. إنّما الدروس ليست مكثّفة وتقتصر على مرّة أو مرّتين في الأسبوع.

اللّافت أن اغتراب العائلات اللبنانية شكّل دافعاً وليس عائقاً أمام هذه العائلات لتعليم أبنائها اللغة العربية. وهنا، تشير لطيف إلى أنه «في الآونة الأخيرة ازداد الإقبال على الدروس الخصوصيّة، رغبةً من الأهالي في نقل اللغة الأمّ لأولادهم للحفاظ عليها وإبقائهم متّصلين بأرضهم».

أهداف مختلفة

وتختلف أهداف المتعلّمين. فأحياناً تُعدّ اللغة العربية مهمّة بالنسبة إليهم لتسيير أعمالهم، فيما يصبّ التركيز لدى آخرين على الناحية الروحيّة وتحديداً لفهم القرآن الكريم أو الكتاب المقدّس وقراءتهما.

انطلاقاً من ذلك، يلفت خادم الرسالة المارونية في مدينة تولون الفرنسية الخوري طانيوس بطيش، في حديث لـ«الأخبار»، إلى أن الأبرشيّة المارونية تضع ضمن إطار عملها ورسالتها نشر اللغة العربية، وهو ما تقوم به أيضاً جمعيات فرنكو – لبنانية. ويشرح أن «كلّ رعيّة، وفق نطاقها الجغرافي، تعمل على توفير دروس خصوصية للراغبين في تعلّم هذه اللغة بهدف التمكّن من فهم القداديس أو لغايات أخرى، فيما تراوح أعمار غالبيّة المتعلّمين بين 6 أعوام و14 عاماً». ويلاحظ بطيش أن هناك اهتماماً باللغة العربية أيضاً من جانب عدد من الفرنسيين الذين تجمعهم، أحياناً، علاقات عمل مع المجتمعات العربيّة.

طفرات اللّهجة العاميّة

يتّفق عدد من أساتذة اللغة العربية في فرنسا على أن من بين الصعاب التي يواجهونها خلال رسالتهم التعليميّة هي أن الأمور قد تختلط أحياناً لدى المتعلّم، لجهة التمييز بين اللغة العربية الفصحى واللهجة العاميّة اللّبنانيّة التي يسمعها عادةً من أهله، بالإضافة إلى صعوبة اللّفظ بمخارج الحروف بشكل سليم.

كذلك، يضطرّ بعض التلاميذ بسبب كثافة الدروس في المناهج الفرنسية، ولا سيما في الصفوف الثانوية، إلى إعطاء الأولوية للموادّ المدرسية، وبالتالي يضع اللغة العربية في خانة الخيار غير الأساسي ويعتبر أنّ تعلّمها ممكن حصراً في وقت الفراغ.

كما يُجمع هؤلاء الأساتذة، بعد تجاربهم مع الأهالي، على أنّ الزواج المختلط بين الجنسيتيْن الفرنسيّة واللبنانيّة يلعب دوراً مؤثّراً، يصبّ عادةً في عدم الاهتمام باللغة العربية وعدم تشجيع الأبناء على تعلّمها.

ضرورية في العمل

ولكن ماذا عن اللبنانيّين الذين دخلوا إلى مجال العمل في الخارج، هل أدّت لغتهم الأمّ دوراً مهمّاً في حياتهم المهنيّة؟

لا شكّ في أن الحاجة إلى هذه اللغة تختلف نسبياً من شخص إلى آخر وفق نوع عمله. على سبيل المثال، اللّبنانية سارة أبي نادر غادرت وطنها وهي تبلغ من العمر 22 عاماً لتتابع دراستها في إحدى الجامعات الفرنسية وتستقرّ في باريس، وهي تعمل حالياً في مجال العقارات. وتعتبر أنّ تمكّنها من اللغة العربيّة ساعدها في حياتها العمليّة على التواصل مع زبائن لا يتقنون اللغة الفرنسية وهم من جنسيات عربية، وتتحدّث أبي نادر عن تجربتها الشخصيّة: «أحتاج إلى التركيز لتركيب جملة مفيدة وأجد صعوبة في العثور على الكلمة المناسبة لاستخدامها في الجملة بسبب عدم تواصلي الدائم مع الآخرين بواسطة اللغة العربيّة». على الرغم من ذلك، تؤكّد حرصها على قراءة الأشعار من حين إلى آخر، فيما تصرّ على التحدّث يومياً مع أهلها وأقاربها باللهجة العاميّة، لأنّ ذلك برأيها يذكّرها بأنّها لبنانيّة الأصل وليست فرنسيّة.

وفي الولايات المتحدة تفرض اللغة العربية نفسها كـ«لغة ثانية» في المدارس الرّسمية في مرحلة التعليم الثانوية إلى جانب اللغة الإسبانية، كما أنّ الزيادة في أعداد الناطقين بها تدفع السّلطات إلى «طلب موظفين يجيدون تكلّم العربية للعمل في المطارات والموانئ كما في المدارس».

إلا أن التعليم المدرسي فقط «لا يرضي جزءاً كبيراً من اللبنانيين وغيرهم من الناطقين بالعربية، سيّما القادمين في السّنوات الأخيرة»، بحسب هناء، حجازي القيمة هناك منذ أكثر من عشر سنوات، والعاملة كإداريةٍ في إحدى مدارس ولاية ميشيغان. فيدفع حرص الأهالي على تعليم أبنائهم لغتهم الأم إلى «تسجيلهم في معاهد لغة عربية خاصة بعد الدوام المدرسي، تعمل على تدريسهم القراءة والكتابة والقواعد». إلا أنّ الأساس بحسب حجازي في تعلّم اللغة لـ «يعود للأهل، وإصرارهم على التكلم بها مع أبنائهم في البيوت يومياً»، وترى حجازي أنّ «معاهد التعليم لن تنفع اليوم، لأنّنا محاطون باللغة الإنكليزية».

ويذكر أنّه هناك مدارس خاصة بالعرب تعلّم المنهاج الرسمي للدولة الأميركية، وإلى جانبه اللغة العربية بشكل مكثّف، ولكن تكلفتها عالية جداً مقارنة بالمدارس الرسمية المجانية، وتراوح بين 5 آلاف و 7 آلاف دولار عن الطفل الواحد.

سوق العمل: هل تجعل العربية لغة ثانية؟

زينب حمود

تتكلم مع طفل لا يتجاوز السنتين من عمره باللغة العربية، فيردّ عليك بالإنكليزية أو الفرنسية. لا بل يفهم سؤالك قبل أن يتدخّل أحد الأبوين من أجل الترجمة علماً أنهما لبنانيّان يعيشان في ربوع الوطن، لكنّهما لا يتواصلان مع ابنهما بلغته الأم.

يتكرّر هذا الموقف كثيراً اليوم. أطفال لبنانيو الأصل من الجهتين، يعيشون في لبنان، يتحدّثون اللغة الإنكليزية أو الفرنسية بطلاقة أكثر من اللغة العربية، وأخرون كانت حروف اللغات الأجنبية أول ما نطقوا به. تحوّلت هذه المواقف إلى «ظاهرة»، إذ يستخدم الأهل اللغات الأجنبية في التواصل مع أولادهم، سواء عبر المحادثة المباشرة، أو قراءة القصص، أو اختيار وسائل تسلية ناطقة بلغات أجنبية»، بحسب المتخصّصة في تربية الطفولة المبكرة مريم رعد، التي ترى في الأمر «نوعاً من التفاضل الاجتماعي ومعياراً للمكانة الاجتماعية».

انطلاقاً من أن اللغة هي عصب الثقافة وطريقة التفكير، تفسّر رعد «ميلنا إلى اللغات الأجنبية أكثر من العربية بانجرارنا وراء الثقافة الغربية، فمثلما ناكل البرغر ونلبس الجينز نحكي ما نراه الغرب». يعزّز هذا السلوك «انفصالنا عن هويتنا الثقافية والوطنية. فنحن لا نخجل في لبنان، يتحدّثون اللغة الإنكليزية أو الفرنسية بطلاقة أكثر من اللغة العربية، وأخطأنا في نطق كلمة عربية أو استبدال الضاد بالدال عند الكتابة... لكننا نخجل إذا ظهر قصورنا في إتقان اللغة الأجنبية. هذه هي باختصار عقدة النقص الحضاري التي تجرّنا إلى تقليد الغرب».

الجدة لاحفادها: «احكوا معي بالعربي»

بعيداً من «البريستيج»، لأهل تبريرهم خلف سعيهم إلى توريث أولادهم لغات أجنبية، «لمصلحتهم»، يجزمون، فهم، برأيهم، يحجزون لهم مكاناً في سوق العمل عندما يختارون لهم حضانات ومدارس تهتم بتلقينهم «لغة العصر».

> لا نخجل إذا استبدلنا الضاد بالدال كما نفعل إذا ظهر قصورنا في اللغة الأجنبية

يحرصون على تعلّمها وتعليمها لأولادهم بما يسهّل هجرتهم إلى الخارج في ما بعد.

يلحظ البعض منهم تفهقر لغة أولادهم الأم، ويزعجهم ذلك. لكنها نتيجة متوقّعة ما دام الطفل يتعرّض إلى اللغة الأجنبية بشكل مبالغ فيه، ويفوق بكثير تعرّضه للغة العربية. إذ تغيب عن شاشات التلفزة برامج الترفيه للأطفال الناطقة بالعربية، ويقلّ عدد دور نشر قصص الأطفال بالعربية وبرز ضعفها في التسويق، كما يقضي أطفال معظم وقتهم في مدارس أميركية أو فرانكوفونية. عباس (7 سنوات)، مثلاً، يدرس في مدرسة ذات نظام أميركي، ثم يرجع إلى منزله ويتحدث مع عائلته باللغة الإنكليزية. عندما يطلب منه والده استخدام العربية يرمي المسؤولية عليه: «ترسلونني إلى مدرسة نحكي فيها بالإنكليزية كلّ الوقت، أما درس اللغة العربية فيأتي في آخر النهار عندما أكون جوعاناً وتعباناً».

مريم، جدّة لـ11 حفيداً، جميعهم يفضّلون اللغة الإنكليزية على العربية لأنها «أسهل»، كما يبرّرون. تنزعج كلما سمعتهم يتحاورون بـ«غير لغتنا»، وتنزعج أكثر عندما يطلبون منها ألواح الشوكولا أو المبيت عندها باللغة الإنكليزية التي «لا أفهمها، فأقول لهم: احكوا معي بالعربي». عندما انتقلت للسكن في القرية، تراجعت مهارات أحفادها اللغوية بالعربية كثيراً، «فقد كان منزلي المكان الوحيد الذي يستخدمون فيه العربية»، تأسف كيف يجيد أحفادها الثلاث، الذين يعيشون في أميركا منذ ولادتهم، اللغة العربية أكثر من أحفادها الأحد عشر المقيمين في لبنان.

نتيجة عكسية

ليست المشكلة في الانفتاح على ثقافات بلدان أخرى وإتقان لغاتها، بل على العكس، ذلك ضروري في سبيل التطور «لكننا، نبالغ في انفتاحنا إلى حدّ نبدو فيه ملكيّين أكثر من الملك. نريد أن يتحدّث أولادنا الفرنسية بشكل أفضل مما يفعل الفرنسيون أنفسهم»، تقول رعد. وتلفت نظر الأهالي الذين يسعون إلى تلقين أولادهم لغة ثانية إلى جانب لغتهم الأهم منذ أعمار مبكرة، فيمررون مفردات أجنبية في جملة عربية أو العكس إلى أن «استخدام أكثر من لغة واحدة مع الطفل في السنوات الثلاث الأولى من التربية باعتبارها فترة اكتساب اللغة، خطأ فادح، يؤثر على نموهم الفكري ويؤخّر نطقهم وبالتالي يؤخّر اكتسابهم للّغتين». عوض ذلك، «يجب تعريض الطفل إلى لغته الأم فقط في عمر اكتساب اللغة. وعند سن الرابعة يبدأ تعليمهم لغة إضافية ثانية، فثالثة». وهنا تجدر الإشارة إلى تحدّ في أصل تعلم اللغة العربية، «يرتبط بالفرق بين العربية العامة التي يتعلّمها الطفل من محيطه، وتلك الفصحى التي يتعلمها في المدرسة».

(أرشيف ـ مروان طحطح)

مونديال 2022

العالم يستنجد بميسي لإنقاذه من حُكم فرنسا

انه النهائي الكبير. نهائي الحلم بين الارجنتين وفرنسا. وبين ليونيل ميسي وكيليان مبابي. نهائي وكأنه رُسم لوصول نجمين كبيرين وزميلين إلى المسرح الأخير. فعلاً المشهد يبدو وكأنه عملية استلام وتسلّم بين نجم العصر ونجم المستقبل. هو بساطة افضل ختام لكأس العالم على اعتبار ان المنتخبين كانا الأفضل من نواح فنية وجماهيرية وغيرها. تُلعب المباراة غدا الساعة 17:00 بتوقيت بيروت

شربل كريم

التاريخ إن حكى سيحكي عن منتخباتٍ معيّنة طبعت نسخات كأس العالم بطابعها الخاص، وبينها سيذكر قصص منتخبَين عظيمين تُوِّج كلٌّ منهما باللقب الغالي في مناسبتين.

سيحكي هذا التاريخ عن الأرجنتين مع ماريو كيمبس وديبيغو ارماندو مارادونا، وسيحكي عن فرنسا مع ميشال بلاتيني وزين الدين زيدان، ومن ثم سيأتي على ذكر ليونيل ميسي وكيليان مبابي وغيرهم من نجوم العصر الحديث.

أسماء كبيرة حضرت بقوة على الصعيد الفردي، إذ لا يخفى أنه

فوز فرنسا باللقب يعني أن العالم سيكون أمام مرحلة سيطرة الفرنسيين على اللعبة لسنوات طويلة

في الأعوام الـ 20 الأخيرة على الأقل، اتفق كثيرون بأنه ليكون لديك فريق قوي عليك أن تضم لاعبين فرنسيين وأرجنتينيين. هم فعلاً أكدوا هذا الكلام في المونديال الحالي. الأرجنتين بعناده الجماعي، وفرنسا بالحلول الفردية الكثيرة التي تملكها. هما اليوم على مشارف فكّ الارتباط على اللائحة الذهبية للفائزين بالكأس الأغلى، وذلك بعدما التقيا سابقاً ثلاث مرات على الساحة المونديالية، فغلبت الأرجنتين في مباراتين، وخسرت الأخيرة (3-4) في دور الـ 16 للنسخة الماضية. خسارة أرسلت فرنسا باتجاه منصة التتويج، وهي التي لم تسقط في آخر 10 مباريات مونديالية أمام أحد منتخبات أميركا الجنوبية، لكن المفارقة أن سقوطها الأخير على هذا الصعيد كان أمام الأرجنتين (2-1) بالتحديد في دور المجموعات للبطولة التي استضافتها الأخيرة وفازت بلقبها عام 1978.

إرث لا يموت

وبين الماضي والحاضر تغيّرت الكثير من الأمور بالتأكيد، لكن ما لم يتغيّر هو الإرث الذي تركه المنتخبان منذ زمن بعيد، ويتجلى أرجنتينياً في الأجواء الرومانسية التي تحيط بالنجم الأول ميسي، حيث الحنين إلى أيام مارادونا، وإلى تلك الملاحم الشهيرة التي سطرها في مونديال 1986 ليرفع الكأس العالمية الثانية لبلده. وفي المونديال الحالي فعلها «ليو» ممرراً كرات حاسمة مستحيلة، ومسجلاً أهدافاً مهمة، ليتعاطف معه العالم أجمع ويتمنى كثيرون أن يكون الذهب بين يديه في نهاية المطاف كعربون شكر لكل ما قدّمه لكرة القدم عبر السنوات الماضية وامتداداً إلى محطته الأخيرة في أكبر عرس كروي.

الإرث فعلاً يتجلى فرنسياً مع وصول «الديوك» إلى نهائي كأس العالم للمرة الرابعة منذ الفوز باللقب الأول عام 1998، وهو ضعف مشاركة أي منتخب في النهائي خلال هذه الفترة، ليكون حامل اللقب أمام إنجاز استثنائي حيث يصبو للاحتفاظ بالكأس، وهي مسألة لم يسبقه إليها سوى إيطاليا (1934 و1938) والبرازيل (1958 و1962). إرث النجوم السابقين يتجلى اليوم قوةً وأسماءً، إذ يكفي أن نعود إلى ذاك المونديال المذهّب الأول ونستذكر اسم ذاك الظهير الأيمن الذي حسم مباراة نصف النهائي بهدفيه أمام كرواتيا. هو ليليان تورام الذي يطل نجله ماركوس الآن بالقميص الأزرق، ليعكس معادلة يخافها العالم حالياً، وهي أن تطوّر الكرة الفرنسية لا يتوقف بل هي تولّد سنوياً نجوماً كثر، لدرجة يمكن القول أن الفرنسيين يملكون على الاحتياط منتخباً قوياً آخر، ومنتخباً لا يقلّ شأناً من المصابين، وأيضاً من المستبعدين عن البطولة.

العالم ينتظر منقذاً

ببساطة إذا فازت فرنسا باللقب، سيكون التفسير الوحيد هو أن العالم سيكون أمام مرحلة سيطرة الفرنسيين على اللعبة لسنوات طويلة، وهم الذين ما انفكوا يقدّمون نجوماً كبار إلى أكبر البطولات، وقد تجلّت آخر إنجازاتهم على هذا الصعيد في حمل قائد ريال مدريد الإسباني كريم بنزيما الكرة الذهبية التي اختزعوها بأنفسهم من خلال مجلة «فرانس فوتبول» المتخصصة.

بطبيعة الحال هو النهائي الرقم 11 بين منتخب لاتيني وآخر أوروبي، والتفوّق تاريخياً لأبناء أميركا الجنوبية بسبعة ألقاب بينها اثنين للأرجنتين، مقابل ثلاثة لمنتخبات «القارة العجوز» حفلت بانتصار فرنسي صارخ على البرازيل عام 1998.

انتصارٌ وسمه زيدان بهدفيه فكان بطل النهائي، الذي ينتظر هذه المرّة أيضاً إبداعات فردية في ظل مواجهةٍ بين التاريخ الذي يمثّله ميسي القادر أن يصبح أكثر لاعب مساهمةً بالأهداف في تاريخ المونديال بعدما سجل 11 هدفاً ومرر 8 كرات حاسمة، وبين المستقبل الذي يمثله مبابي الذي قد يكون أصغر لاعب يسجّل في نهائيين متتاليين.

هما سيكونان المفتاحان من دون شك في النهائي، لكن هناك مفاتيح أخرى لكلّ منهما قد تحدد نتيجة المباراة، منها ما يقدّمه «الأليبسيليستي» من فدائية على أرضية الميدان بحيث إن معدل التسديدات على مرماهم لم تنخفض الـ 5,7 تسديدة في المباراة الواحدة، وهي النسبة الأقل بين جميع المنتخبات المشاركة، بينما للفرنسيين أسماء كثيرة يمكنها أن تحدث الفارق، بحيث أن كل الخطوط شاركت في عملية تشكيل الخطورة على المنافسين، وفي هزّ الشباك. من الهداف التاريخي لفرنسا أوليفييه جيرو، مروراً بمستقبل الوسط أوريليان تشواميني، ووصولاً إلى الظهير الأيسر ثيو هرنانديز، وطبعاً بوجود الجندي المجهول في هذه البطولة أنطوان غريزمان الذي صنع فرصاً أكثر من أي لاعب آخر في المونديال الحالي (21 فرصة).

إذاً كأس العالم ستُطوى صفحتها الأخيرة لتحفظ اسماً ذهبياً جديداً بين سطورها بعد شهر عاصف مزّ بسرعة البرق لشدّة روعة وجمالية وحماسة المباريات التي ارتقت إلى مستوى التوقعات وأكثر.

تفوّق تاريخي لأميركا اللاتينية

- فازت البرازيل على السويد (2.5) في نهائي 1958
- فازت البرازيل على تشيكوسلوفاكيا (1.3) في نهائي 1962
- فازت البرازيل على إيطاليا (1.4) في نهائي 1970
- فازت الأرجنتين على هولندا (1.3) في نهائي 1978
- فازت الأرجنتين على ألمانيا (2.3) في نهائي 1986
- خسرت الأرجنتين من ألمانيا (1.0) في نهائي 1990
- فازت البرازيل على إيطاليا (2.3) بركلات الترجيح في نهائي 1994
- خسرت البرازيل من فرنسا (3.0) في نهائي 1998
- فازت البرازيل على ألمانيا (0.2) في نهائي 2002
- خسرت الأرجنتين من ألمانيا (1.0) في نهائي 2014

تحتاج الشعوب إلى جرعة من الفرح في ظلّ الأوضاع الاقتصادية الصعبة (أ ف ب)

الكأس الذهبية تسعد الشعوب... وتحفّز الاقتصاد

بعيداً عن أمنيات بعض الجماهير بتتويج الأرجنتين بكأس العالم من أجل النجم الأول ليونيل ميسي، وبعيداً عن رغبة شعب «التانغو» في حصد النجمة الثالثة تاريخياً، تسعى «بلاد الفضة» إلى التتويج بالمونديال لما له من تبعات إيجابية، ولو بسيطة، على اقتصادها، إضافةً إلى إسعاد المواطنين

حسين فحص

منذ حوالي 40 عاماً بدأت تخرج دراسات بحثية متعددة، تتحدث عن تأثير البطولات الرياضية الكبرى على اقتصادات الدول. بعيداً عن احتمال تحفيزها لنموّ البلد المستضيف، خلصت الدراسات إلى وجود علاقة إيجابية قصيرة الأمد بين المتوّجين بكأس العالم لكرة القدم واقتصاد بلادهم. نقطة مهمة يعوّل عليها طرفا النهائي في الدوحة، وخاصةً الأرجنتين، أملاً بتقليل حجم التضخم الذي يضرب البلاد منذ سنوات، ولو مؤقتاً.

لا تزال الأرجنتين غارقة في الفوضى الاقتصادية. ومن المتوقع أن يصل معدل التضخم إلى 100% مع نهاية هذا العام، بينما يستمر تراكم الديون الضخمة في بوينس آيرس.

لا شكّ بأن الأزمة المتجذرة يصعب حلّها عبر رفع كأس ذهبية فقط. لا يوجد أيّ حدث رياضي قادر على النهوض بأيّ بلد. ومع ذلك، أثبتت

بعد تتويج فرنسا بلقبها المونديالي الأول عام 1998 نما اقتصادها بنسبة 3,6% مقارنةً بعامَي 1997 و1999

التجارب أن معظم الدول التي تفوز بكأس العالم تحظى بدفعة نموّ طفيفة على المدى القصير.

تحسُّن الناتج المحلي الإجمالي بعد الفوز بالمونديال يُعزى إلى زيادة الصادرات، بحسب أبحاث أجرتها جامعة «Surrey» البريطانية. وخلصت الدراسات إلى وجود زيادة طفيفة في الناتج المحلي الإجمالي خلال الربعين الأولين من تتويج أيّ دولة بلقب كأس العالم لكرة القدم، على خلفية تعزيز قوة العلامة التجارية للدولة الفائزة، وزيادة شعبية صادراتها تباعاً.

على سبيل المثال، بعد تتويج فرنسا بلقبها المونديالي الأول عام 1998، نما اقتصاد الدولة بنسبة 3,6%، أكثر من عامَي 1997 و1999.

وهو أمر ينطبق على بطلة العالم في نسخة العام 2002، أي البرازيل، التي أحدثت قفزة كبيرة في مبيعاتها الخارجية بعد فوزها بمونديال كوريا الجنوبية واليابان، وساهمت تباعاً في تحقيق نسبة نموّ 3,1% متقدمة على معدلات النمو 1,4% و1,1% المسجلة في عامَي 2001 و2003. أمرٌ تكرر مع إيطاليا، بطلة مونديال عام 2006 (نموّ بنسبة 1,8%، أعلى من نسب 0,8% و1,5% لعامَي 2005 و2007).

فازت إسبانيا بالبطولة عام 2010 في خضمّ ركود محلي وعالمي كبيرين، ومع ذلك، نما اقتصادها بنسبة 0,2% في ذلك العام. كما شهدت بعدها ألمانيا سنة 2014 نمواً بنسبة 2,2%، بتقدُّم 0,4% عن عام 2013 و1,5% عام 2015. وبحسب وكالة «بلومبيرغ»، يميل بطل كأس العالم لكرة القدم إلى التمتع بنسبة 0,25 نقطة مئوية إضافية من النمو الاقتصادي في الربعين التاليين للبطولة.

شحنة معنوية

تعاني فرنسا أزمة طاقة وموجة من الإضرابات العماليّة منذ حوالي 5 سنوات، وقد تفاقم الأمر منذ بدء الأزمة في أوكرانيا والضغط الذي أحدثته هذه الأزمة في سوق الغاز والنفط. وعلى الضفة الأخرى، فقد بلغ معدل التضخم في الأرجنتين ما يقرب من 100%.

وفي ظل تردّي الأوضاع ضمن أغلب بقاع الأرض نتيجة الأزمة المناخية وأزمة الطاقة، قد تحول المشاكل الاقتصادية دون تحقيق أي مكاسب تأتي مع الفوز بكأس العالم.

الفائدة الأكبر لفوز فرنسا أو الأرجنتين بالبطولة قد تنصبّ في الشق المعنوي بالدرجة الأولى. الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون شاهد مباراة منتخب بلاده من أرض الملعب، لمحاولة دعم الفريق واحتواء الغضب الشعبي حول الأوضاع المعيشية هناك. من جهتها، سُئلت وزيرة العمل الأرجنتينية كيلي أولموس قبل انطلاق البطولة عما إذا كان خفض التضخم أكثر أهمية من الفوز بكأس العالم. فأجابت: «يجب أن نعمل باستمرار ضد التضخم. من ناحية أخرى، وبالنظر إلى ما يعنيه ذلك بالنسبة إلى جميع الأرجنتينيين، نريد أن تكون الأرجنتين بطلة. الشعب يستحق حقاً بعض الفرح».

هناك شعور بأن سحر ليونيل ميسي، الذي جعل بعض الأرجنتينيين يبيعون منازلهم لمشاهدته في قطر، يمكن أن يخفف من آلام الملايين في بلد يتجاوز فيه مستوى الفقر 40%. وهو ما يأمله ماكرون أيضاً من مبابي ورفاقه.

لذا، سوف يكون التتويج المحتمل، لشعب الأرجنتين تحديداً، بمثابة الجرعة المعنوية الكبيرة ولكن قصيرة الأمد أمام أزمةٍ تطال أغلب القطاعات.

مباراة مرّة للمغاربة رغم أهميتها

عبد القادر سعد

يخوض منتخب المغرب مباراته الأخيرة في كأس العالم لكرة القدم اليوم عند الساعة 17:00 بتوقيت بيروت حين يواجه منتخب كرواتيا على المركز الثالث، فرصة لأسود الأطلس لتحقيق إنجاز تاريخي يُضاف إلى الإنجازات التي حقّقها المغاربة في مونديال قطر. يُنهي المغاربة «مونديال الحلم» بالنسبة إليهم كما بدؤوه في مواجهة الخصم الكرواتي العنيد. فالمنتخبان التقيا في 23 الشهر الماضي ضمن أولى مباريات المجموعة السادسة فلم يكن هناك فائزٌ في المباراة، انتهى اللقاء بتعادل سلبي، فكانت أول نقطة وأول مؤشّر على أن المغاربة قد يفعلون شيئاً. فحينها كان منتخب المغرب يخرج متعادلاً مع وصيف بطل العالم. لم يكن أحدٌ يتوقّع أن يصل المغرب ليواجه الكروات أو أي منتخب آخر على المركز الثالث. كان أشدّ المتفائلين يأملون بالتأهل إلى الدور الثاني، وإذا كان هناك صعود إلى ربع النهائي فحينها تكون نعمة من الله.

لكن المغرب فاجأ الجميع ووصل إلى نصف النهائي وكان يستحقّ التأهّل إلى النهائي لولا الإصابات ومجانبة الحظ للاعبيه.

من الممكن أن يكون طعم المباراة مرّاً بعض الشيء على لاعبين كانوا يتمنون أن يكونوا في مباراة الغد وليس اليوم. أمرّ تحدث عنه المدير الفني للمنتخب المغربي وليد الركراكي حين قال في المؤتمر الصحافي «أعتقد أنها أسوأ مباراة يمكن أن نلعبها. لكن ما زلنا متحمّسين لخوضها رغم شعور الخيبة. بطبيعة الحال كنا نفضل أن نكون في النهائي لكن هناك المركز الثالث الذي يتوجّب علينا اللعب من أجله. نريد أن ننهي (البطولة) على منصة التتويج. الأمر سيكون صعباً بسبب الإرهاق وهناك أيضاً العائق الذهني الذي يتوجب علينا تجاوزه. نعلم أن كرواتيا تريد أيضاً أن تنهي (البطولة) ثالثة».

قال الركراكي بأنها «أسوأ مباراة يمكن أن نلعبها» خلال المؤتمر الصحافي أمس (أ ف ب)

لكن طموحات الركراكي ستصطدم بمنتخب عنيد يدخل إلى اللقاء بالعنوان عينه للمغاربة: إحراز المركز الثالث. هي مباراة بنكهات مختلفة للكروات. تعويض معنوي للخروج من نصف النهائي ومراضاة الجمهور. تكريم القائد لوكا مودريتش في آخر مباراة له في كأس العالم على أقل تقدير في حال بقي مودريتش البالغ من العمر 37 عاماً مع منتخب بلاده إلى بطولة أوروبا بعد سنتين وهو أمرٌ مستبعد. أضف إلى ذلك سعي زملاء مودريتش كانديه كراماريتش والمدافع يوشكو غفارديول لإثبات أنفسهم وتحقيق ميدالية برونزية شبيهة بالتي فازوا فيها عام 1998 بفوزهم على هولندا 2-1. كما أن غفارديول ابن العشرين عاماً مرشّح لإحراز لقب أفضل لاعب تحت 21 عاماً في البطولة، بعد الفرنسي كيليان مبابي عام 2018. ورغم أنه اعتبر أن الأهم إحراز كرواتيا للميدالية البرونزية لكن في الوقت عينه رأى أن إحرازه لقب أفضل لاعب تحت 21 عاماً «سيكون ذلك رائعاً بالطبع».

العالم

فلسطين

تهديدات المقاومة تَشغل العدو: عودة مفاوضات الأسرى

غزة - رجب المدهون

بعد أيام من كشْف «كتائب القسام»، الجناح العسكري لحركة «حماس»، عن سلاح الضابط الإسرائيلي الأسير، هدار غولدن، وتهديدها بإغلاق ملفّ الأسرى الإسرائيليين لديها وإيقاف التفاوض حوله، تزداد خشية سلطات الاحتلال من إمكانية تنفيذ الحركة، خلال الفترة المقبلة، عمليات أشر جديدة ضدّ جنودها، في مسعى منها لامتلاك ورقة ضغط إضافية على طريق إنهاء معاناة أكثر من 4 آلاف وخمسمئة أسير فلسطيني. وبحسب مصدر قيادي في «حماس» تحدث إلى «الأخبار»، فإنّ الحركة لم تغلق بعد ملفّ المفاوضات، وهي على تواصل مع الجانب المصري لإتمام «صفقة تبادل مشرّفة». ويَلفت المصدر إلى أن «الصرين وجميع الوسطاء الذين تدخّلوا في هذا الملف على مدار السنوات الثماني الماضية، أدركوا أن المشكلة عند حكومات الاحتلال المتعاقبة، وليست عند المقاومة»، مشيراً إلى أن الأخيرة «وضعت سقفاً لإنهاء هذا الملفّ»، ومؤكداً أن «التصريحات التي خرجت خلال الفترة الماضية حول إعادة تحريك القضية ستتمّ ترجمتها عملياً»، مضيفاً إن «الحراك الجديد لن يقتصر على قطاع غزة، بل سيشمل ساحات عدّة، لإرغام الاحتلال على التنازل».

وتصرّ «حماس» على جني ثمن مناسب من العدو مقابل الجنود الأسرى الأربعة لديها. وفي هذا الإطار، يجزم المصدر القيادي بأن الحركة لن تتراجع عن شروطها، وأن «الاحتلال لن ينجح في استخدام عامل الوقت لتقليص مطالبها»، متوجّهاً إلى عائلة غولدن بأن «علينا أن نفهم أنه لا طريق لإعادة ابنها إلّا بصفقة تبادل، وأن مطالبتها حكومتها بخطوات ضدّ قطاع غزة لن تجدي نفعاً». ويَعتبر أن «عائلة هدار تتعامل بغباء مع ملفّ ابنها محدّداً ونهائياً لهذا الملفّ، مهدّداً بأنه إذا لم تنجز صفقة جديدة خلال هذه المهلة، فستبحث «حماس» عن سبل أخرى.

في الإطار نفسه، رأى الكاتب والمحلّل السياسي، طلال عوكل، أن «دولة الاحتلال تلقّفت رسالة مهرجان حماس في غزة يوم الأربعاء الماضي، وحذّرت من نية الحركة تنفيذ المزيد من عمليات الأسر»، بينما احتمل المحلّل السياسي المقرّب من «حماس»، مصطفى الصواف، «إقدام الحركة خلال الفترة المقبلة على أسر المزيد من الجنود الأسرى، بما سيجبر إسرائيل على تحقيق صفقة جديدة». بدوره، اعتبر الكاتب والمحلّل السياسي، أيمن الرفاتي، أن «حماس ستكون خلال الفترة المقبلة أمام تحدّيات كبيرة ستدفعها إلى تحريك ملفّ الجنود بطرق خشنة وغير اعتيادية، وربّما زيادة غلّتها من الأسرى». وكان نائب قائد أركان «كتائب القسام»، مروان عيسى، قد حذّر، العام الماضي من أن «ملفّ الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال سيكون الصاعق والمفجّر للمفاجآت القادمة مع العدو».

تصرّ «حماس» على جنْي ثمن مناسب من العدو مقابل الجنود الأسرى الأربعة لديها (أ ف ب)

كشف السنوار أن آخر عملية تفاوض بين المقاومة والاحتلال جرت قُبيل الانتخابات الإسرائيلية الأخيرة

الأسير لدى المقاومة، فبدلاً من ممارسة ضغوط حقيقية على حكومات الاحتلال المتعاقبة، تتقدّم مطالب غير ذات قيمة»، مشدداً في الوقت نفسه على أن «تحرّك العائلة مهمّ لعودة هدار عبر صفقة تبادل»، وأن «تقاعسها يسمح للحكومات الإسرائيلية بإهمال ملفّ ابنها».

وكان يحيى السنوار، قائد حركة «حماس» في غزة، قد كشف أن آخر عملية تفاوض بين المقاومة والاحتلال جرت قُبيل الانتخابات الإسرائيلية التي انعقدت الشهر الماضي، حيث عرضت الحركة إخلاء سبيل كلّ من الأسيرين لديها، هشام السيد وأفيرا منغستو، وتقديم صندوقَين أسودَين للأسيرين الآخرين، شاؤول آرون وهدار غولدن، إمّا يحويان جثّتيهما، وإما معلومات عن مصيرهما، وذلك مقابل إفراج إسرائيل عن الأسرى الذين أعادت اعتقالهم بعد تحريرهم في صفقة «وفاء الأحرار»، والأسرى المرضى وعلى رأسهم ناصر أبو حميد، والأسيرات والأطفال. وإذ أشار إلى أن العدو لم يستجب لهذا العرض، فقد أعلن أن الحركة قرّرت أن تضع سقفاً زمنياً

استراحة

كلمات متقاطعة 4200

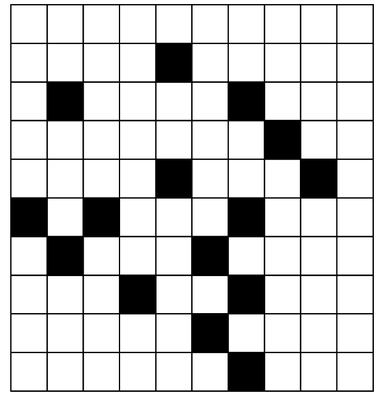

أفقيا

1- سلسلة جبلية في اميركا الشمالية – 2- اله هندي – هروب – 3- يشير بيده – منزلي – 4- عجز عن الكلام – إحدى الولايات المتحدة الاميركية – 5- حب البرد – يسقط أرضاً – 6- خدش – راهبة – 7- شهر ميلادي – مدينة فرنسية – 8- قبائل مغولية اشتهرت بغزواتها – بقايا البياس – فزع – 9- جعله منحرفاً – دولة عربية – 10- آلة موسيقية – قنينة ضيقة العنق واسعة الجوانب بالعامية تُستعمل للزيت أو للعرق

عمودياً

1- الصاحبة شقيقة صلاح الدين الأيوبي – 2- من الألوان – اله النور عند الفرس – 3- من كان عمره بين الثلاثين والخمسين عاماً – ميولي – 4- بحر – بين الحلو والحامض – 5- مغنية اميركية – 6- حرف نصب – من النبات يستعمل للزينة – 7- زوجة الفرعون أخناتون – للنفي – 8- دواء يدفع السموم – رجل نزق خفيف – 9- ضمير متصل – ندخل – جاهل غير متعلم – 10- موسيقي أندلسي – كمية قليلة ملء الكفين

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- كوكب الشرق – 2- اخناتون – لم – 3- رز – لامبادا – 4- بروه – قهر – 5- ميامي – آر – 6- اردو – اماكن – 7- ربو – نسر – وع – 8- كحلي – بنجاب – 9- يعبر – سلو – 10- فولغوغراد

عمودياً

1- كارل ماركس – 2- وخز – يربح – 3- كن – بادوليو – 4- بالرمو – يعلّ – 5- اتاري – بغ – 6- لومه – اسبرو – 7- شنب – امرن – 8- أقرأ – جسر – 9- قلده – كوالا – 10- مارون عبود

sudoku 4200

3		5			2		6	
	6		4		3			
9				1		2		
	7		9		5		4	
		4		7		1		
1		9			4		3	
	2			4		8		9
8			7		5			
	5		1			2		3

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4199

1	3	6	2	4	5	7	8	9
9	7	2	3	1	8	4	6	5
5	8	4	9	6	7	2	3	1
6	1	7	8	9	2	5	4	3
4	9	3	5	7	1	8	2	6
8	2	5	4	3	6	9	1	7
2	6	1	7	8	9	3	5	4
3	5	9	6	2	4	1	7	8
7	4	8	1	5	3	6	9	2

مشاهير 4200

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

كاتبة كويتية تعمل في صحيفة القبس ورئيسة التحرير السابقة لوكالة الأنباء الكويتية. شاركت في لجان تحكيم إعلامية
6+7+8+9+11 = أول أيام الأسبوع ■ 1+3+5+4 = نفي إليها نابليون ■ 0+2 = مدينة إيرانية

إعداد نعوم مسعود

حل الشبكة الماضية: يوجين مكارثي

وفيات

رئيس مجلس النواب
أعضاء مجلس النواب
ينعون بمزيد الأسى زميلهم المأسوف عليه
النائب والوزير السابق
جاك (اغوب) جو خادريان
المنتقل إلى رحمته تعالى الخميس 15 كانون الأول 2022.

بسم الله الرحمن الرحيم
(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ * يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)
صدقَ اللهُ العليُّ العظيمُ
انتقلت إلى رحمةِ اللهِ تعالَى المرحومةُ المبرورةُ الصالحةُ الطاهرةُ الصبورةُ العلويّةُ الشريفةُ الحاجّة:
عزّة السيّد عبدالله الأمين
ام علي
حرمُ سماحةِ العلّامةِ المُقدّس الشيخ محمود كوثراني، يُشيّعُ الجثمانُ الطاهرُ للسيّدةِ الفقيدةِ، وتوارَى في جدثِ الرحمةِ في بلدتِها الغسانيّة، في موعدٍ يُحدَّدُ لاحقاً. للعلويّةِ الفقيدةِ الرحمةُ، ولكمُ الأجر.
الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم
يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي. صدق الله العلي العظيم
بمزيد من الرضى والتسليم بمشيئة الله
ننعى إليكم وفاة فقيدنا الغالي المرحوم
الحاج حسن راغب سلهب (ابو علي)
والد الشهيد الحاج ملحم سلهب وروي الثرى في جبانة بلدته بريتال أمس الجمعة الواقع فيه 2022/12/16.
له الرحمة ولكم الأجر والثواب

الأخبار
اشتراكات
إعلانات رسمية ومبوبة
وفيات
www.al-akhbar.com
71-513571
01-759500

إعلانات رسمية

إعلان
تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض لتأهيل السياج في معمل الذوق الحراري، موضوع استدراج العروض رقم ث4/ 9 تاريخ 2022/1/3، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2023/1/20 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.
يمكن للراغبين في الاشتراك بإستدراج العروض المذكور أعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان – أمانة السر – في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 50/ل.ل.
علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الأحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة.
تسلم العروض باليد إلى أمانة سر كهرباء لبنان – في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.
بيروت في 2022/12/13
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 578

إعلان
تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض لشراء بطاريات لزوم مجموعات الـBBC في معمل الجية الحراري، موضوع استدراج العروض رقم ث4/ 761 تاريخ 2022/2/28، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2023/1/20 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.
يمكن للراغبين في الاشتراك بإستدراج العروض المذكور أعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان – أمانة السر – في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 200/ل.ل.
علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الأحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة.
تسلم العروض باليد إلى أمانة سر كهرباء لبنان – في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.
بيروت في 2022/12/13
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 578

إعلان
جانب: حنان علي جعفر/ مجهولة محل المقام
عدد:2022/762
تدعوك محكمة بيروت الشرعية الجعفرية (غرفة القاضي الشيخ علي المولى) للحضور إلى قلمها لاستلام أوراق دعوى الاطاعة والمساكنة أساس 312 المقامة عليك من رضا عبد الحسن طاهر قبل الموعد المقرر بـ 2023/1/16 أو إرسال وكيل عنك وإلا اعتبرت مبلغة أصولاً وجرت بحقك المعاملات القانونية وكل تبليغ لك في قلم المحكمة يكون صحيحاً حتى الحكم القطعي.
رئيس القلم
علي الحاج

إعلان
لأمانة السجل العقاري في الشمال
طلب غزوان حسين بكر وفاطمة أحمد العجم بالإصالة عن نفسيهما سند بدل ضائع بالعقار 1002 المقسم 96 بستاين طرابلس.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
وسام ولي الدين

إعلان
من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
طلب إبراهيم لويس الحوراني من ورثة لويس نجيب الحوراني شهادة قيد بدل ضائع للعقار 1582 دير ميماس.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
يوسف شكر

إعلان
لأمانة السجل العقاري ببعلبك الهرمل
طلبت ياسمين سيف الدين سيف الدين لنفسها سند تمليك بدل ضائع بحصتها بالعقار 858 شعث.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوما
أمين السجل العقاري
عباس قاق

إعلان
من أمانة السجل العقاري في كسروان
طلب المحامي ادوار جوزف طيون وكيل روبدا رشاد الغزال زوجة كمال سمعان بصفتها منتفعة بعقد فك تامين بينها وبين بنك اتش اس بي سي الشرق الأوسط المحدود البنك البريطاني للشرق الأوسط سابقاً الذي حل محله بنك لبنان والمهجر ش.م.ل. شهادة قيد تأمين بدل عن ضائع للتامين المسجل على العقار رقم 1162 القسم 3 من منطقة صربا العقارية قضاء كسروان.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في كسروان
رانى حيدر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في كسروان
طلب جرجس طانيوس عقيقي بصفته مفوض من قبل بنك بيبلوس ش.م.ل. شهادة قيد تامين بدل عن ضائع للتامين المسجل على العقار رقم 340 من منطقة فاريا العقارية قضاء كسروان.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في كسروان
رانى حيدر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في كسروان
طلب عماد سعيد حيدر بصفته مفوض من قبل بنك بيبلوس ش.م.ل. (بنك هولندا العام – امرو سابقاً) شهادة قيد تأمين بدل عن ضائع للتامين المسجل على العقار رقم 339 القسم 16 من منطقة صربا العقارية قضاء كسروان.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في كسروان
رانى حيدر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في كسروان
طلب المحامي ادوار جوزف طيون وكيل روبدا رشاد الغزال زوجة كمال سمعان بصفتها منتفعة بعقد فك تامين بينها وبين بنك اتش اس بي سي الشرق الأوسط المحدود البنك البريطاني للشرق الأوسط سابقاً الذي حل محله بنك لبنان والمهجر ش.م.ل. شهادة قيد تأمين بدل عن ضائع للتامين المسجل على العقار رقم 1162 القسم 3 من منطقة صربا العقارية قضاء كسروان.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في كسروان
رانى حيدر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في كسروان
طلب روزك الياس سركيس سند تمليك بدل عن ضائع في العقار رقم 1155 القسم 13 البلوك A من منطقة سهيلة العقارية قضاء كسروان.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في كسروان
رانى حيدر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في كسروان
طلب المحامي رواد عادل ابليا بصفته وكيل مارك نيقولا غي دجرماكيان بوكالته عن نوران جميل زهر الدين سند تمليك بدل عن ضائع في العقار رقم 4684 القسم 7 البلوك G من منطقة كفردبيان العقارية قضاء كسروان.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في كسروان
رانى حيدر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في كسروان
طلب المحامي مارك خوسه غصن بصفته وكيل ايلي جبرايل صفير بصفته احد ورثة المرحوم جبرائيل حنا صفير سند تمليك بدل عن ضائع في العقار رقم 113 القسم 3 من منطقة جعيتا العقارية قضاء كسروان.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في كسروان
رانى حيدر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في كسروان
طلب المحامي ربيع جرجس باشا بصفته وكيل المحامي سيلفيو انطونيوس العرياوي بوكالته عن سمعان حنا عبود سند تمليك بدل عن ضائع في العقار رقم 1008 القسم 13 من منطقة ساحل علما العقارية قضاء كسروان.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في كسروان
رانى حيدر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في كسروان
طلب مرسيل الياس الغصين بصفته منتفع بموجب عقد بيع بينه وبين الصندوق الاجتماعي الماروني (الكرسي البطريركي الماروني تحت تولية صاحب الغبطة) سند تمليك بدل عن ضائع في العقار رقم 383 القسم 19 البلوك C من منطقة ذوق مصبح العقارية قضاء كسروان.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في كسروان
رانى حيدر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في جبيل
طلبت ماريا انطوان الأشقر بوكالتها عن ورثة الياس طانيوس عازار اصدار سند تمليك بدل عن ضائع على العقار رقم 704 من منطقة زبدين العقارية قضاء جبيل.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في جبيل
سعد حدشيتي

إعلان
من أمانة السجل العقاري في جبيل
طلب السيد جورج بير ليس بوكالته عن المحامي مارك انطوان انطوان شاوي بوكالته عن شركة سوسام 1 ش.م.ل. بموجب توكيل من سامر الخوري اصدار سند تمليك بدل عن ضائع على العقار رقم 82 من منطقة عمشيت العقارية قضاء جبيل.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في جبيل
سعد حدشيتي

إعلان
من أمانة السجل العقاري في كسروان
طلبت المحامية نادين اسعد ابي عازار بصفتها وكيلة المحامية نيله جرجس يوسف قمير بوكالتها عن السادة العنود محمد فهد المهنا ونواف وطلال وسطام ونايف سليمان علي ابا الخيل بصفتهم وريثة المرحوم سليمان بن علي بن عبدالله ابا الخيل – سعودي سند تمليك بدل عن ضائع في العقار رقم 1908 من منطقة الكفور العقارية قضاء كسروان.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في كسروان
رانى حيدر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في كسروان
طلب جان نصري مسعد سند تمليك بدل عن ضائع في العقار رقم 1 القسم 5 البلوك A من منطقة فيطرون العقارية قضاء كسروان.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في كسروان
رانى حيدر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في كسروان
طلب روّاد جوزف الحلو بصفته وكيل فادي جرجي الهاني سند تمليك بدل عن ضائع في العقار رقم 1578 القسم 16 من منطقة صربا العقارية قضاء كسروان.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في كسروان
رانى حيدر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في كسروان
طلب اسطفان دياب البعينو سند تمليك بدل عن ضائع في العقار رقم 625 القسم 11 من منطقة صربا العقارية قضاء كسروان.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في كسروان
رانى حيدر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في كسروان
طلبت ميشلين عبدو نهرا بصفتها الشخصية وبصفتها وكيلة فادي حسيب عوض سندات تمليك بدل عن ضائع في العقار رقم 561 القسم 250 من منطقة حارة صخر العقارية قضاء كسروان.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في كسروان
رانى حيدر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في كسروان
طلب المحامي نادين اسعد ابي عازار بصفتها وكيلة المحامية نيله جرجس يوسف قمير بوكالتها عن السادة العنود محمد فهد المهنا ونواف وطلال وسطام ونايف سليمان علي ابا الخيل بصفتهم وريثة المرحوم سليمان بن علي بن عبدالله ابا الخيل – سعودي سند تمليك بدل عن ضائع في العقار رقم 1908 من منطقة الكفور العقارية قضاء كسروان.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في كسروان
رانى حيدر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في كسروان
طلب جرجس طانيوس عقيقي بصفته مفوض من قبل بنك بيبلوس ش.م.ل. شهادة قيد تأمين بدل عن ضائع للتامين المسجل على العقار رقم 340 من منطقة فاريا العقارية قضاء كسروان.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في كسروان
رانى حيدر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في كسروان
طلب عماد سعيد حيدر بصفته مفوض من قبل بنك بيبلوس ش.م.ل. (بنك هولندا العام – امرو سابقاً) شهادة قيد تأمين بدل عن ضائع للتامين المسجل على العقار رقم 339 القسم 16 من منطقة صربا العقارية قضاء كسروان.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في كسروان
رانى حيدر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في كسروان
طلب روكز الياس سركيس سند تمليك بدل عن ضائع في العقار رقم 1155 القسم 13 البلوك A من منطقة سهيلة العقارية قضاء كسروان.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في كسروان
رانى حيدر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في كسروان
طلب المحامي رواد عادل ابليا بصفته وكيل مارك نيقولا غي دجرماكيان بوكالته عن نوران جميل زهر الدين سند تمليك بدل عن ضائع في العقار رقم 4684 القسم 7 البلوك G من منطقة كفردبيان العقارية قضاء كسروان.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في كسروان
رانى حيدر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في كسروان
طلب المحامي مارك خوسه غصن بصفته وكيل ايلي جبرايل صفير بصفته احد ورثة المرحوم جبرائيل حنا صفير سند تمليك بدل عن ضائع في العقار رقم 113 القسم 3 من منطقة جعيتا العقارية قضاء كسروان.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في كسروان
رانى حيدر

مبوب

مطلوب

شركة مفروشات في المكلّس بحاجة إلى عمال في المجالات التالية: معلّم طراحة، معلّم تركيب برادي، معلّم نجارة عربي وموبيليا، معلّم حفّ الدهان، للتواصل على الرقم: ٠٣٢١٣٥٧٥

سيرة اليمين الإسرائيلي بشخص بنيامين نتنياهو [2]

أسعد أبو خليل *

تتناول هذه السلسلة الكتاب الجديد لبنيامين نتنياهو بعنوان «بيبي: قصتي»، وهو يتضمّن سيرته السياسيّة وسرديّة اليمين الصهيوني. أشرتُ في العدد الماضي إلى أنني لن أشير في الاستشهادات إلى عدد الصفحات لأنني قرأتُ الكتاب في نسخة إلكترونيّة وعدد الصفحات ليس نفسه باختلاف البرامج والإعدادات الشخصيّة للقارئ.

النرجسيّة السياسيّة لنتنياهو واستسهاله الكذب جعلاه قبل سنوات يزهو على الشاشات الأميركيّة أن الشعب العربي ليس معادياً له — حسب زعمه — بدليل أن كتابه عن الإرهاب كان الأكثر مبيعاً في بيروت وعمّان. طبعاً، لم يكن ذلك صحيحاً، وقراءتنا للصهاينة تدخل في باب معرفة العدوّ. وكان نتنياهو يُحاول أن يبهر الجمهور الغربي كأن هناك قوائم رصينة لأكثر الكتب مبيعاً في بيروت وعمّان. وهناك قائمة بأكثر الكتب مبيعاً في المعرض السنوي للكتاب في بيروت ولم يحتلّ كتاب نتنياهو القائمة، بالرغم من إعجاب محمد بن زايد ومحمد بن راشد ومحمد بن سلمان الشديد به.

ببساطة يروي نتنياهو قصص زيارته إلى لبنان عبر السنوات، إمّا عندما كان جنديّاً، وعندما كان دبلوماسيّاً في ما بعد. لبنان كان منذ تاسيسه بلداً مُشرّعاً أمام الصهاينة. ومنذ التأسيس، هناك أكثر من نصف الطبقة السياسيّة (ومن أكثر من طائفة) يتحالف مع إسرائيل ويخدم مصالحها بأمانة مقابل المال والخدمات السياسيّة. في سنوات الاستقلال الأولى، كانت إسرائيل تنعم بحلفاء في الكتلتَيْن المتناقضتَيْن. بعد غزو لبنان في صيف 1982، يقول نتنياهو إنه جال في الجبال فوق بيروت في سيّارة وتلقى «بعض الزعماء المسيحيّين المتحالفين مع إسرائيل». يذكر نتنياهو أن الصحافة الأميركيّة كانت شديدة الانتقاد للغزو، ويقول إن الإعلام «العالمي» (قصده الغربي) تجاهل «العمليّات الإرهابيّة التي تسبّبت بالاجتياح». طبعاً، لم يكن هناك أي عمليات عسكريّة قبل الاجتياح، باستثناء محاولة اغتيال السفير الإسرائيلي في لندن من قبل جماعة أبو نضال. كما أن «العدوّ — ومعه حلفاؤه في 14 آذار — يلومون خطف جنديّيْن إسرائيليّيْن في لبنان في تمّوز 2006 على محاولة إسرائيل اجتياح لبنان. وكم كان طعم هزيمتها حلواً لنا.

ويروي عن عمله في السفارة الإسرائيليّة في واشنطن. كيف كانوا يعدّون المقالات لنشرها في الصحف، وكان هو يجدّد الكتّاب ويضع تواقيع القناصل الإسرائيليّين على المقالات المنشورة. لكنه في عمله سمح لبعض القناصل بكتابة مقالات، إذا نالت إعجابه. العمل الصهيوني في الغرب كان — ولا يزال — عملاً شديد التنظيم بعكس العمل العربي ضد الصهيونيّة (طبعاً، بحلول الغزو العراقي للكويت في عام 1990، قرّرت سفارات الخليج القضاء على كلّ الطبقات العربيّة التي كانت تساهم في تمويلها، وكانت تلك المنظمات تكرّس جهداً لنشر وجهة النظر الفلسطينيّة في الغرب. ليس هناك من منظمة عربيّة واحدة تقوم بذلك العمل في أميركا اليوم). يعترف نتنياهو بأنهم ملأوا الصحف بمقالات تعبّر عن الموقف الإسرائيلي وتفنّد النقد ضد إسرائيل وضد غزو لبنان.

يتحدّث عن ظهوره على البرنامج السياسي، «نايتلاين»، وهو كان برنامجاً مؤثّراً جداً في الثمانينيّات والتسعينيّات على شبكة «إي.بي.سي»، وأداره الإعلامي الشهير، تد كوبل. عرّفه ظهوره على البرنامج على ملايين الأميركيّين، لكنه يزعم، كذباً، أن إن المسلمين منقادون دون إرادة من قبل كوبل هذا كان «حكماً» في الحوارات فيما لم يكن يخفي صهيونيّته في برامجه وفي ما كتبه (ظهرتْ على البرنامج مرتيْن، وتذكر كيف أن نلسون مانديلا أخرسه عندما ظهر ضيفاً على البرنامج وساله كوبل بوقاحة عن علاقته مع عرفات والقذّافي). يقول إنه ظهر مع سفير عربي، لكنه لا يذكر اسمه. لكن انحياز الإعلام الأميركي يظهر في رواية نتنياهو عن ظهوره في البرنامج عندما يقرّ بأن كل العاملين في البرنامج كانوا يحيّونه مؤيّدين بعد انتهاء مقابلاته ويعطونه علامة الانتصار بالإبهام المرفوع. هذا الانحياز الإعلامي والفني لإسرائيل خفّ عبر السنوات، ربّما لأنه ليس هناك من نقاش حول إسرائيل بسبب غياب الإعلام العربي الرسمي عن منازلات ضد إسرائيل، وبسبب انخفاض نسبة تأييد إسرائيل بين الحرفيّين والإعلاميّين الليبراليّين.

مستوى العلاقة بين الحكومات الأميركيّة وإسرائيل يظهر من خلاف سرد نتنياهو عن عمله في السفارة في واشنطن. لم يكن سفيراً، لكن وزير الخارجيّة الأميركي يستدعيه بنفسه ليسأله رأيه في «المعركة ضد الإرهاب» وليأخذ باقتراحاته عن فرض عقوبات ضد «الدول الإرهابيّة». كم من المبادرات الأميركيّة والسياسات عن الشرق الأوسط تنطلق من تل أبيب، أو من السفارة الإسرائيليّة في واشنطن. يقول له جورج شولتز: «الإرهابيّون — طبعاً بقصد الفلسطينيّين واللبنانيّين هنا — ليسوا بشراً. هؤلاء حيوانات» (هلّل لشولتز بعض العرب عندما عيّنه رونالد ريغان وزيراً للخارجيّة لظنّهم أن عمله في شركة «بكتل» سيدفعه إلى مناصرة العرب. طبعاً، كان من أشدّ المتعصّبين ضد العرب طوال حياته). نتنياهو نجح في تسويق فكرة أن «الإرهاب» العربي يصيب الأميركيّين كما يصيب الإسرائيليّين، ودليله على ذلك أن اللبنانيّين رفضوا الاحتلال الأميركي في زمن أمين الجميّل كما رفضوا الاحتلال الإسرائيلي. سياسة «محاربة الإرهاب» (والتي تندرج تحتها كل برامج «مساعدات» أميركا للجيوش العربيّة) هي سياسة إسرائيليّة المنشأ والمقصد. وزير خارجيّة أميركا كان يكتب رسائل لنتنياهو في السفارة الإسرائيليّة. في رسالة له قال: «هذا الصباح في رحلة طويلة بالطائرة من واشنطن إلى مدينة بالي لاحظتُ أن الرئيس (ريغان) كان يقرأ كتابك. عدة مرّات خلال الرحلة، زارني في مقعدي وعلّق على مقاطع في الكتاب وقرأها بصوت عالٍ لنا. أعطاني نسخة من الكتاب قائلاً إنّ عليّ أن أقرأ الكتاب، مُضيفاً: أريدك أن ترجعها لي». لا يبالغ نتنياهو عندما يتبجّح أن ما كان قد بدأ كفكرة في رأس والده عن الإرهاب العربي، بعد مقتل «بوني» في عنتيبي، تطوّر إلى سياسة أميركيّة جديدة وعدائيّة لمكافحة الإرهاب. على الذين يتدرّبون في الجيش اللبناني على مكافحة الإرهاب بإشراف الجيش الأميركي تقديم الشكر لنتنياهو — الحقّ يُقال.

الكتاب لا يخلو من الكتابة المحشوّة بالكليشيهات. يقول: «كتب التاريخ الجيّدة تضيء على الحاضر كما على الماضي». هل هذه فكرة جديدة لم يسبق لأحد أن قالها بكلّ لغات الأرض قبل نتنياهو؟ والتبجّح الذي غلب على مذكرات صائب سلام (هل تذكرونها؟) يسري في هذه المذكرات. الكاتب معجب بنفسه إلى حدّ الهوس. وهو لا يختلف في تنبؤاته عن تنجيمات ميشال حايك أو ليلى عبد اللطيف. يقول: توقّعتُ قبل أشهر من سقوط المانيا الشرقيّة أنها ستسقط، لكنه لم يخبر أحداً بذلك. ابقى النبوءة سرّاً من الأسرار كي يتحفنا بها في المذكرات.

ويتحدّث عن الإعلام العربي فينظّر على طريقة الفكر الاستعماري العنصري الكلاسيكي: أن العرب والمسلمين لا يكنّون عداءً لإسرائيل — أو للاستعمار — وإنما هم مُضلّلون لأن عقولهم الرخوة قابلة للسيطرة والتحوير. هذا تماماً ما كان يبار الجميّل يقوله عن المسلمين قبل الحرب: أن عقولهم ليست معادية لفكر حزب الكتائب (المعادي للإسلام والمسلمين والعرب) بل إن المسلمين مفتادون دون إرادة من قبل إعلام منظمة التحرير. يقول في حديث مع طالبة جامعيّة أميركيّة إن انفتاح الإعلام العربي بعد الانتفاضات في عام 2010 سيكون له تأثير كرة الثلج (طبعاً، زاد انغلاق الإعلام العربي بعد ذلك التاريخ، وتقلّص عدد الأبادي التي تسيطر على الإعلام، يكفي مثال محطة «الجديد» التي كانت علّة وجودها، بقرار قطري، معارضة

> ما جرى في الدوحة في مباريات كاس العالم يعاكس ما يقوله نتنياهو: لو ترك العرب على سجيّتهم، من دون تسلّط الإعلام السعودي والإماراتي والقطري، لرفضوا وجود إسرائيل

وذمّ النظام السعودي وهي أصبحت بوقاً للتحالف الغربي - الخليجي - الإسرائيلي). ما جرى في الدوحة في مباريات كاس العالم يعاكس ما يقوله نتنياهو: لو تُرك العرب على سجيّتهم، من دون تسلّط الإعلام السعودي والإماراتي والقطري، لرفضوا وجود إسرائيل بالمطلق ورفضوا استضافة «ضيوف» إسرائيليّين على الشاشات العربيّة، كما تفعل «الجزيرة» و«العربيّة» وغيرهما. عندما يتحرّر الشباب العربي وسيفعلون ما فعله الشباب المصري عندما سقط نظام حسني مبارك وأحرق المحتجّون سفارة إسرائيل (ويتحدّث نتنياهو عن ذلك في ما بعد). التسلّط العربي هو الحماية الوحيدة لوجود سفارات إسرائيليّة ومباشرة أرض العرب. يقول نتنياهو إن حريّة الإعلام ستهدّد الأنظمة، لكن تهديد الأنظمة صنو تهديد إسرائيل. إن البلاد ذات الحريّة الأكبر في التعبير (مثل تونس ولبنان) هي تلك التي تتضمّن أشدّ العداء لإسرائيل.

ويستسهل نتنياهو الكذب، فيقول إنه خلال عمله سفيراً لبلاده في الأمم المتحدة جمع في مدريد خلال مؤتمر «السلام» الأميركي عدداً من الصحافيّين العرب وفنّد لهم ببراعة كل مغالطاتهم. هو دائماً المنتصر في المناظرات، بشهاداته هو. وأظهر لهم كم أن كل معلوماتهم خاطئة، لأن نتنياهو وحده يملك الحقيقة. وهذه الواقعة مختلقة من أساسها، وينفيها مسؤول عربي حضر المؤتمر. الصحافيّون العرب آنذاك كانوا يقاطعون المسؤولين الإسرائيليّين — كان ذلك قبل زمن التطبيع الخليجي والترويج لإسرائيل في «الشرق الأوسط» وصحف الإمارات. ويقول باستعلاء عن السفراء العرب في الأمم المتحدة إنهم لا يعرفون بديهيات تاريخ الصراع. كلّهم برأيه ضحايا «أكاذيب البروباغاندا العربيّة». أي أن العربي الوحيد الذي يمكن أن يتحرّر من الأكاذيب هو العربي الصهيوني، مثل صديقه فؤاد عجمي.

وعن تاريخ الشعب الفلسطيني، يستعين نتنياهو بمقولات كتاب جون بيترز المزوّر، «منذ القدم»، والذي يزعم أن لا وجود للشعب الفلسطيني وأن الشعب الفلسطيني المعاصر ليس إلا نتاج هجرة عربيّة حديثة جداً لأرض فلسطين. وكتاب بيترز تضمّن أكاذيب وتزويراً، إلى درجة أن الصهاينة الذين كانوا قد اتّكلوا عليه تنصّلوا منه بعد نشر مراجعات قاسية ومُفنّدة ضدّه. وقد نشر إدوار سعيد مجموعة دراسات في دحض مقولات الكتاب بعنوان «لوم الضحايا: المعرفة الأكاديميّة المزوّرة وقضيّة فلسطين». نتنياهو يقول إن الفلسطينيّين القدماء «اختفوا»، فيما بقي اليهود وحدهم على أرض فلسطين التاريخيّة. لكنه بعد مقطع من الأكذوبة يقول إن الأرض كانت «بصورة أساسيّة» تضمّ اليهود. حسناً، من هؤلاء الآخرون على الأرض؟ ويتحدّث نتنياهو بعنصريّة وقرف عن العرب على أرض فلسطين، فيقول «تدفّق العرب في سيول دائمة من المستعمرين. والاستيطان العربي هو عسكري محض. والعرب "عَرَبوا" البلاد». ويزعم، من دون أي دليل تاريخي، أن العرب فعلوا ما لم يفعله الرومان، أي اقتلعوا اليهود من فلسطين. لكن لو كان هذا صحيحاً، فلماذا مع السرديّات الدائمة عن تاريخ الاضطهاد الغربي لليهود، ليس هناك من سردية صهيونيّة عن نكبة لليهود في فلسطين على يد العرب. كيف اقتُلع اليهود من أراضيهم وهم بقوا فيها على مرّ التاريخ، وإن كاقلية صغيرة، بقرارهم، إلى أن صعدت الحركة الصهيونيّة وباشرت في الهجرة المنظمة برعاية الاستعمار البريطاني أو من دون مباركة السلطة العثمانية للمشروع الصهيوني قبل ذلك. ويعكس نتنياهو مسار التاريخ المعروف فيقول بصفاقة: «بناءً على ذلك، فإنه ليس اليهود هم الذين اغتصبوا الأرض من العرب، بل إن العرب هم الذين اغتصبوا الأرض من اليهود». أي أن الشعب الفلسطيني اغتصب أرض فلسطين ثم رحل عنها طوعاً، لأنه لم يكابده الشوق الذي كابد اليهود في غربتهم عن فلسطين. ويزيد صفاقة على صفاقة ليقول: «اليهود هم السكان الأصليّون، والعرب هم المستعمرون».

ويُكرّر الأكاذيب الأولى للحركة الصهيونية العرب في الأمم المتحدة لأنهم لم يكونوا مثله مطلعين على تاريخ الشرق الأوسط والصراع العربي - الإسرائيلي يقول عن قبيلة قريش إنها «كانت قبيلة يهودية هائلة في شبه الجزيرة العربيّة». عندما يكون الكاتب على هذا الجهل من تاريخ الشرق الأوسط، فإنك تتأكد أن معيار الصدق والمعرفة عنده أدنى من كتب الاستشراق الكلاسيكي، على عنصريتها. ويمضي نتنياهو في جهله، فيتحدّث كيف أن محمّد (صفقة سلام» مع قبيلة قريش اليهوديّة، قبل أن يدمّر قبيلة قريش في ما بعد. هذا الرجل يعتمده الجمهور الغربي كمرجع أكاديمي عن السياسة والتاريخ في الشرق الأوسط، ولملك البحرين تعامل معه على أنه نابغة من نوابغ العصر، وأن له الحقّ في وعظ العرب حول اهتمامهم المضرّ بالقضيّة الفلسطينيّة.

ويبدو من سرديّة الكتاب أن الملك حسين وزوجته، الملكة نور، تنافرا بشدّة مع نتنياهو. لكنه — أي نتنياهو، وحسب وصفه هو — انسجم في علاقته مع الأمير حسن (وليّ العهد السابق). ويزعم نتنياهو أن حسن فضّله على منافسه بيربز في الانتخابات.

(يتبع)

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

الإمبريالية الثقافية والمثقّف والشرق

إياد البرغوثي*

حصلت معظم دول الشرق «الإسلامي» على استقلالها «الرسمي» (الشكلي) في النصف الأول من القرن الماضي. إلا أن ذلك الاستقلال لم يوقف محاولات القوى الإمبريالية للإبقاء على هيمنتها على تلك الدول والتأثير في شعوبها، ليس فقط من خلال إظهار القوة الخشنة وإقامة القواعد العسكرية إنّما أيضاً من خلال القوى الناعمة التي تستخدمها تلك الدول وتتمثل في السياسة والاقتصاد، وكذلك الثقافة، في ما يسمى بالإمبريالية الثقافية.

الإمبريالية الثقافية هي سعي الدول الاستعمارية إلى فرض هيمنتها الأيديولوجية على الدول والشعوب المستضعفة، تعبد من خلالها إنتاج تبعية تلك الدول والشعوب لها، وتسهل عملية التحكم بها وبمقدراتها، وتستطيع من خلالها توجيهها لخدمة أهدافها وبالشكل الذي تريد.

يتم ذلك بالمجمل خلال استخدام كل ما يؤثر في قناعات الناس وقيمهم عند الشعوب المستضعفة، وأحياناً غير المستضعفة أيضاً، بحيث يتم إبهار هذه الشعوب بكل ما لدى المستعمر من «منجزات» مادية وفكرية. وبقدر ما يكون ذلك، يكون جلدُ تلك الشعوب لذاتها واستصغارها لدورها وبأسها من الخروج من تخلفها، حيث تصل إلى قناعة باستحالة الخروج من الأزمة التي تعيشها، وتصل في الوقت نفسه إلى قناعة بأنها شعوب قاصرة وأنها بحاجة إلى رعاية من تلك الدول «القوية والمتطورة». وتسلّم تلك الشعوب أن قصورها هو أمر طبيعي ومعطى سلفاً وأن حاجتها للرعاية ضرورية وبديهية، حيث تصاب تلك الشعوب بعقدة نقص، لن تجد لها حلاً إلا باللجوء إلى تلك البلدان «المتقدمة».

تعمل الإمبريالية الثقافية على الإعلاء من شأن قيم شعوبها وثقافتها واحتقار قيم وثقافة الآخرين. هي عنصرية مشهودة يسعى الغرب الإمبريالي لفرضها على العالم، ويريد من ذلك العالم أن يكون سعيداً بها، بل وممتنّاً كذلك. والغرب لا يرى عنصريته شيئاً خارجاً عن المألوف، أو أنها إساءة للإنسانية، بل يراها شيئاً طبيعياً، لذلك يسعى للحفاظ على «تفوقه» بكل ثمن، ولذلك يستغرب عندما تتحدث الشعوب المستضعفة عن ازدواجية المعايير لديه، فالطبيعي عنده أن يختلف القتل في فلسطين عنه في أوكرانيا، ويختلف اللاجئ الأفغاني عن اللاجئ الأوكراني. وطبيعي أيضاً، ولا تناقض البتة، أن يؤسس هنري دونان الصليب الأحمر الدولي وأن يقوم في الوقت نفسه بتمويل إنشاء مستوطنات صهيونية في فلسطين.

من هذا التفوق «العنصري» يأخذ الغرب الإمبريالي الحق، ليس فقط من باب «إنجازاته» الثقافية على الآخرين، بل وفي فرض «جنونه» وعقده أيضاً. إن الكثير من المواضيع التي تفرض على منظمات المجتمع المدني في بلادنا تندرج تحت هذا التصنيف، المشكلة أنه عند درجة من العنصرية يصبح كذب العنصري هو الصدق، وأخطاؤه هي الحقيقة، ونقائصه مزايا، وإشكالاته هي الحلول، وهو لا يقتنع بهذه «المعطيات» فقط إنما يفرضها على الآخرين على «شكل» عقلانية وحداثة وحرية وديموقراطية وحقوق إنسان.

وحتى لا نقع في مربع العنصرية «المقابلة»، فإنه يجب الاعتراف بالأزمة العميقة التي يعيشها الشرق علمياً وحضارياً، وأن ما نقوله عن الغرب من سلبيات لا يعني التنكر لدوره الإيجابي الكبير في الحضارة العالمية منذ دخول عصر الرأسمالية وحتى يومنا هذا، بخاصة في مجال التقدم العلمي والتكنولوجي. كما لا ينبغي أن يقودنا ذلك أبداً إلى استنتاج أن الشرق يعيش أجمل أيامه، وأن من حقه أن «يفتخر» بهذا الوضع لدرجة أن نادى بعضنا باحقيتنا في «أستاذية العالم».

إنّ مشكلة الغرب الإمبريالي الحالية تكمن في رغبته في توقيف الزمن، واعتبار نفسه في قمة التطور الإنساني الذي لا تطور بعده (نهاية التاريخ). هو يريد أن يقتنع أنه الأفضل ليس فقط الآن ولكن للأبد، ويريد أن يقتنع الآخرون بذلك وأن يتصرفوا على هذا الأساس.

يستخدم الغرب كل وسائله الناعمة (وغير الناعمة إذا تطلب الأمر) للتأثير في شعوب العالم وبخاصة في الشرق وجعلها تتبنى قيمه وثقافته ومعاييره في الحكم على الأشياء. وهو من أجل ذلك يحاول التأثير على الدولة المستهدفة بكل أركانها، النظام والمجتمع المدني بما فيه المنظمات غير الحكومية، ومختلف طبقات الشعب وفئاته.

وهو يستخدم كل الوسائل المؤثرة في بناء القيم، والتي تتشكل أساساً من التعليم حيث تتدخل الدول الإمبريالية في مناهج التعليم في البلدان الضعيفة بشكل مباشر، وتملي عليها تغيير ما لا تراه مناسباً في تلك المناهج، وكذلك الدين والمؤسسة الدينية التي يجري تدجينها وإفراغها من كل ما هو وطني، ثم الإعلام الذي يلعب دوراً استثنائياً في توجيه الناس والتأثير في عقولهم وإيصال لهم الصورة والخبر بالشكل الذي تريده الدول الاستعمارية.

> هذا النوع من المثقفين المستسلمين للراهن، والمبررين لكل ما هو موجود، والفاقدين حتى للحلم بأي تغيير، هم فئة نموذجية للإمبريالية الثقافية

من خلال هذه الوسائل تدخل الإمبريالية الثقافية من أجل خلخلة البنية الفكرية للشعوب المستضعفة، وتحديد أطر لتفكيرها، وتوجيهها نحو أجندات ليست لها علاقة بالمشكلات الحقيقية التي تواجهها تلك الشعوب، وتنشر بينها قيم الفردانية المتحللة من كل التزام يتعلق بالشعب وبالوطن.

أكثر الفئات الاجتماعية التي تستهدفها الإمبريالية الثقافية هم مثقّفو الشعوب المستضعفة لما لهم من أهمية في التأثير على بقية الطبقات والفئات الشعبية، ولكونهم الفئة المرشحة لحمل مشروع الأمة التي يمثلونها، وكذلك للاحتكاك القائم بين هذه الفئة والغرب. فالمثقفون هم حملة مشروع الأمة، من جهة، وهم الأقدر على وأد ذلك المشروع وإحباطه من الجهة الأخرى، والأمة بلا مشروع هي ليست أكثر من «لا شيء»، هي ليست أمّة، فالفرق بين الأمّة والدهماء هو وجود المشروع. إن أي اختراق لفئة المثقفين سيسهّل على الإمبريالية الثقافية عملها.

تعاني فئة المثقفين في البلدان العربية، وفي الشرق عموماً، من كثير من المشكلات تجعلها «صيداً» سهلاً للإمبريالية، وتبعدهم عن رسالتهم المفترضة التي تتمثل أساساً في التنظير لمشروع الأمّة في التحرر والوحدة والتنمية والتقدم.

بسبب نظام الإنتاج الموروث من حقبة الاستعمار المباشر، يشكّل جهاز الدولة البيروقراطي المتضخم عادة، المستوعب الأكبر للقوى العاملة في دول المنطقة، ومن ضمن هؤلاء نسبة كبيرة من المثقفين. كما أن نسبة لا بأس بها من هؤلاء المثقفين، وبسبب تعقيدات الوضع المعيشي في هذه البلدان، دخلت بشكل مباشر أو غير مباشر في عالم البزنس أو في منظمات المجتمع المدني. هذا الوضع، أي الارتباط المباشر بالدولة أو بمنظمات المجتمع المدني وبأنواع معينة من البزنس، يفترض علاقة «حميدة» بالغرب ويجعلها أقرب إلى القيم الغربية والفكر الاستهلاكي بصورة عامة.

هذه التعقيدات، وغيرها بالطبع، تخلق تبايناً واضحاً يتراوح بين فئات المثقفين المختلفة تجاه الهيمنة الثقافية للغرب على شعوب المنطقة، يتراوح بين القبول المطلق والرفض المطلق. فهناك المثقف «المعجب» بالقيم الغربية من دون تحفظ، يحتقر الشرق «الإسلامي» ولا يعتبره متخلّفاً فقط بل التخلّف نفسه. هذا النوع من المثقفين لا يرى غضاضة في «التبعية» للغرب بل يراها مقياساً للتقدّم وإنجازاً كبيراً ويدعو للتشبث بها. وهو بذلك لا يرى ضرورة أن يكون للمنطقة مشروعها الخاص، وإن كان لا بد من ذلك فليكن بتعميق التواصل مع الغرب ويمزيد من «الغربنة».

يقابل ذلك، ويدعمه عملياً، ذلك المثقف الشرقي الذي يرى الغرب الشر المطلق الذي تجب إدارة الظهر لكل ما عمل ويعمل، ويرى في الشرق «نموذجاً» يجب على الغرب وغيره الاحتذاء بكل ما جاء به، وأن بعض المشكلات الموجودة في الشرق ما هي إلا بسبب ابتعاد الشرقي عن شرقيته الأصلية. هذا النوع من المثقفين قد يكون حاملاً لمشروع للأمّة لكنه مشروع أصولي انعزالي معلن للحرب سلفاً على كل الآخرين، وهو صورة شرقية لفوكوياما ونهاية التاريخ الغربية.

إلى جانب المثقف المتأثر مباشرة بالغرب الإمبريالي والمندمج معه والمعجب به والمتبنّي لمشروعه، توجد شرائح من المثقفين الشرقيين الذين «يسهلون» (وإن كان ذلك بتقديري من دون أن يدركوا ذلك) الاختراق الثقافي الغربي لشعوبهم. من هؤلاء المثقف المنعزل وغير الشاعر بأية مسؤولية تجاه وطنه وأمّته وليس لديه مشروع إلا مشروعه الخاص. والمثقف المحبط واليائس والمهزوم الذي يرى الهزيمة قدراً فيتماهى معها بل ويصل درجة الاستثمار بها أحياناً (مثقفو التطبيع على سبيل المثال)، هذا النوع من المثقفين المستسلمين للراهن، والمبررين لكل ما هو موجود، والفاقدين حتى للحلم بأي تغيير، هم فئة نموذجية للإمبريالية الثقافية. وإذا ما أضفنا إلى هؤلاء الناقد السلبي للأوضاع، ذلك النوع من المثقفين الذين يتحوّل نقدهم بمرور الوقت إلى «نق» من دون الإبقاء على أي فسحة للتغيير الإيجابي، إضافة إلى أولئك المثقفين الذين لا يرون كامل المشهد، ويذهبون إلى التفاصيل، ويغوصون في اليومي على حساب الاستراتيجي، ويخلطون بين الأهداف السامية الثابتة والوسائل المتغيرة، كل هؤلاء، إضافة إلى المثقفين المتعصبين لكل الهويات التي تحول دون تقارب مكونات الأمّة من بعضها، يشكّلون القاعدة الأكبر لدخول الإمبريالية الثقافية إلى بلدان الشرق.

ما تحتاجه شعوب الشرق، وبخاصة شعوب العالم العربي، من أجل رفع حصانتها تجاه الإمبريالية الغربية الثقافية هو ذلك المثقف الذي يحمل مشروع الأمّة لأنه بذلك يعطي للشرق معناه، وهو المثقف المسؤول الذي لديه المعرفة والحساس بالمسؤولية تجاه قضايا أمّته الكبرى، وهو الذي يدعو إلى حوار لمختلي مكونات الأمّة من أجل تقاربها ويبعث فيها الأمل بإمكانية نجاح مشروعها، وفي الوقت نفسه يعمل على عقلنة وعي الأمة الجمعي تجاه مصيرها المشترك وضرورة تحررها.

* أكاديمي فلسطيني مقيم في رام الله

البلاد

ونبقى

النكبة في الإعلام الأميركي
مناهج التشويه والإنكار

يكاد يكون من أبرز المسلّمات مدى انحياز الإعلام الغربي، والأميركي على وجه الخصوص، للرواية الصهيونية وإعادة تسويقها بصورة أو بأخرى للجمهور. أحد أهم أوجه هذا الانحياز، إنكار الإعلام الغربي للنكبة الفلسطينية. هذا ما يتتبّعه غريغ شوباك، في دراسة، راصداً أساليب تآمر الإعلام الأميركي ومناهجه مع السياسة والرواية الإسرائيليتين، ضد الفلسطينيين، حيث يقوم بتلميع صورة المحتل والغسيل الابيض للعنصرية الإسرائيلية إعلامياً، متجنّباً عكس أي صورة قد تجعل إسرائيل عرضةً للنقد

رغد رغير

في تقديمها للدراسة التي نشرتها هذا العام (2022) والتي تحمل عنوان «محو النكبة، ودعم الفصل العنصري: إنكار الفظائع في الإعلام الأميركي»، تتحدّث هيئة التحرير في «مؤسسة الدراسات الفلسطينية» عن دور التغطية الإعلامية في صراع الفلسطينيين منذ بداية حركتهم الوطنية، كيف يقوم الإعلام الغربي بشكل متعمّد بتحريف وتشويه تاريخهم ورواياتهم وثقافتهم ومقاومتهم، لقد وضعهم في الهامش دائماً، انطلاقاً ممّا طرحه إدوارد سعيد في مقاله «إذنٌ بالرواية»: «ثمّة منظومة إعلامية تأديبية في الغرب تؤدي مهمتها في مراقبة معظم الأشياء الأساسية التي قد تقدّم إسرائيل بصورة سيئة، وكذلك أحداث الحادي عشر من أيلول، واستغلّت هذه الأحداث لتشبيه أي عمل مقاوم بالإرهاب. يتبع الإعلام الغربي الازدواجية بطريقة واضحة عبر إظهار الفلسطينيين كإرهابيين، والعسكري المتواصلين، هو نجاحهم هذا في استخدام تواطؤ الأميركيين لنشر سرديتهم ومحو جرائمهم في الإعلام. واستناداً إلى مقال إدوارد سعيد، لقد ازدادت حدة الخطاب الأميركي والإسرائيلي ضد العرب، من ضمنهم الفلسطينيون، بعد أحداث الحادي عشر من أيلول، واستغلّت هذه الأحداث لتشبيه أي عمل مقاوم بالإرهاب، يتبع الإعلام الغربي الازدواجية بطريقة واضحة عبر إظهار الفلسطينيين كإرهابيين، بينما يُظهر الجانب الإسرائيلي بمظهر المتحضر. تقارير «أمنيستي» و«هيومن رايتس ووتش» التي تدين عنصرية «دولة الاحتلال» ونظام الأبارتهايد الذي تمارسه ضد الفلسطينيين، تعرّضت لهجمات من اليمين المحافظ، وهو ما يمكن الاستدلال به على أن أي نقد لإسرائيل يجعلك تحت خانة الاستهداف بمعاداة السامية حتى لو كنت من ضمن المنظومة الإمبريالية الغربية ذاتها.

أمّا مقدمة المؤلف، البروفيسور والكاتب غريغ شوباك (وهو أستاذ في جامعة غويلف - هامبر في تورينتو) فتبدأ بفكرة تغييب الرواية الفلسطينية، عارضاً السياق التاريخي لسردية الصراع في الإعلام الأميركي، بشكل يجعل الجمهور الذي يستهلك خطاب هذا الإعلام متأثراً بهيمنة الرواية الصهيونية. ينظر شوباك إلى أحداث النكبة كأهم جواب للقضية الفلسطينية، مستنداً إلى رواية الفلسطينيين أنفسهم حول النكبة، وكونها الحدث الأساسي في تاريخ صراعهم. فالإعلام الأميركي الذي يرسم صورة فلسطين لا يعكس الواقع بطبيعة الحال، ويخلو من أي سرد تاريخي ينصف الفلسطينيين، وهذا ما تستند إليه الدراسة، عن كون إنكار النكبة جزءاً من إنكار الغرب فظاعة المجازر والإبادة التي تعرضت وتتعرض لها الشعوب المستعمَرة، ما يجعل متلقّي التغطية الغربية، الأميركية خاصة، غير مهيأ لإدراك حقيقة الواقع الفلسطيني الحالي.

يعتمد شوباك على التغطية الإعلامية الأميركية للأحداث الواقعة بين عامَي 2000 وعام 2021، وتحديداً أحداث معركة «سيف القدس» والهبّة الشعبية في الأراضي المحتلة في أيار من العام الماضي، ويقدّم تحليلاً لهذه التغطية في أهم أربع صحف أميركية، وهي: «الوول ستريت جورنال» و«نيو اس أي تودايّ» و«النيويورك تايمز» و«الواشنطن بوست».

يذكر شوباك إحصاءات مثيرة خلال مسحه لـ 21 عاماً من التغطية الإعلامية الأميركية، حيث وجد أن عدد المقالات التي تحوي كلمات كـ«إسرائيل» و«إسرائيلي» أو «فلسطين» و«الفلسطينيّ» يبلغ 80583 مقالاً، فقط 478 مقالاً منها يحتوي على مصطلح النكبة، أي ما تعادل نسبته 6% فقط.

ترتكز دراسة شوباك على تحليل حالة التغييب هذه وتفصيلها، حيث عمد إلى تقسيمها إلى ثمانية أساليب أنكرت فيها النكبة في الإعلام الأميركي، وهي كالآتي:

8 أساليب لإنكار النكبة

1-حدثان منفصلان:

يوحي الإعلام الأميركي للجمهور بأن النكبة وعملية إنشاء «دولة إسرائيل» حدثان منفصلان، بمعنى أن هذا الخطاب يُهيئ للمتلقي بأن المجازر التي سبقت إعلان إقامة هذه «الدولة»، والتطهير العرقي الذي مارسته العصابات الصهيونية بحق الفلسطينيين، غير مرتبط بإنشاء الكيان المحتل الذي أقدم على محو قرى فلسطينية وتهجير سكانها الأصليين وقتل غيرهم.

يتناول شوباك هنا عدة مقالات أقدمها مقال كتب في أيار 2000 في «النيويورك تايمز»، يدّعي فيه كاتبه بأن ما يسمّيه الفلسطينيون النكبة هو حدث «مصاحب لولادة إسرائيل»، وهو ادعاء قائم على إنكار أي علاقة بين الحدثين. يستدل شوباك بمقال آخر، ولكن هذه المرة من «الوول ستريت جورنال» نشر في أيار 2011، أي بعد 11 عاماً من المقال الأول، ويدّعي فيه كاتبه بأن «الفلسطينيين يحيون حدث النكبة الذي وقع عليهم بعد إنشاء دولة إسرائيل»، وكان المجازر التي ارتكبتها العصابات الصهيونية، قبل إعلان إنشاء الدولة وخلاله، لم تحدث، وأن النكبة مجرد حدث وقع على الفلسطينيين بشكل ما.

يتكرر الأمر في كل المقالات التي يتناولها شوباك، حيث لا يطرح أي كاتب غربي أن النكبة الفلسطينية هي شرط مسبق لإنشاء هذه «الدولة»، لا حدث اعتباطياً مصاحباً لها، كما أن الفاعل والحدث في هذه المقالات غامضان في الغالب، وبشكل يهدف إلى تصوير أن إسرائيل خلقت من العدم. ووفقاً لشوباك، فإن هذه السردية التي بالكاد تذكر النكبة، تشكل ذريعة متأثراً بهيمنة الرواية الصهيونية. للأميركيين والإسرائيليين لشرعنة قيام نظام عنصري ضحيته الشعب الفلسطيني.

2-اللغة المفرغة:

تعتمد التغطية الإعلامية الأميركية على اللغة المفرغة التي لا تحتوي على أي مضمون معنيّ بأيّ سياق تاريخي ينصف الفلسطينيين. ويستدل شوباك هنا بوصف «النيويورك تايمز» للمسيرات الفلسطينية في ذكرى النكبة أيار 2005 «ذكرى إنشاء إسرائيل، يوماً عاشها الفلسطينيون. ثم يستدل لاحقاً بوصف لصورة نشرت مع مقال آخر في الصحيفة نفسها: «عندما خسر آلاف الفلسطينيين منازلهم مع إقامة دولة إسرائيل». من جديد، هناك تقليل من أهمية حدث النكبة في السرد التاريخي وتقليل من أعداد الفلسطينيين المتضررين ولا ذكر لأي شهيد فلسطيني، كما أن النكبة، مرة أخرى، توصف كحدث عشوائي اعتباطي تصادف مع إقامة الدولة، أي أن المعلومات التي تخص الضرر والعلاقة بين الحدثين والأعداد التي تضررت غير دقيقة.

3-الفاعل مبنيّ للمجهول:

يتعمّد الإعلام الأميركي، في تغطيته، تغييب الفاعل منعاً لتحميل العصابات الصهيونية أي مسؤولية عن ما اقترفته في فلسطين. ولذلك، يتجنّب الكتّاب ترك تساؤلات عن شرعية «الدولة» لدى الجمهور، بشكل يظهر النكبة وأصحابها أقرب إلى كونهم الفاعل بدلاً من الضحية، في طريقة جديدة يستخدمها الإعلام الأميركي لدعم الرواية الصهيونية. يدلل شوباك على ذلك عن طريق ذكر تقرير لـ«النيويورك تايمز» يدّعي أن «ما يسمّيه الفلسطينيون النكبة، هو تهجيرهم من قراهم في أول حرب عربية إسرائيلية» وذلك دون ذكر فاعل التهجير. ويذكر لاحقاً مثالاً آخر، في «الواشنطن بوست»، يقول إن «إعلان قيام دولة إسرائيل هو ذكرى النكبة بالنسبة إلى الفلسطينيين التي أدّت إلى تهجير مئات الآلاف منهم»، وهنا أيضاً يتجنّب المقال الاعتراف بمسؤولية العصابات الصهيونية عن التهجير.

4-مركزية السردية الإسرائيلية:

يتبع الإعلام الأميركي أسلوباً مهماً آخر، وهو جعل عملية إنشاء «الدولة» محور السردية. وأهم مثالين يطرحهما شوباك هنا، عنوان فيديو نشرته «النيويورك تايمز» عام 2011 ومراجعة كتاب في «الواشنطن بوست» عام 2018، وكلاهما يعرّفان النكبة كاحتجاج على إقامة «الدولة»، من دون أي مرجع تاريخي يطلع المتلقّي على معنى النكبة أو أي من الأحداث «المصاحبة» لإنشاء «الدولة». أي، وبتعبير آخر، تبنّي نظرة المستعمِر المعتادة والمتوقعة في تغليب سرديته، أولوية حدث إنشاء الدولة، حتى ولو كانت على أنقاض القرى الفلسطينية. يجادل شوباك هنا أن أسلوب تغييب النكبة، أو اختصارها بإعلان الدولة، هو خطاب عنصري يسعى إلى محو جريمة تهجير الفلسطينيين، ويطرح القضية من وجهة نظر المستعمِرين. بمعنى آخر، تمسي النكبة بحسب هذه السردية مجرد انتصار صهيوني عوضاً عن التطهير العرقي الذي تعرّض له الفلسطينيون، أي الملاك الأصليون للأرض.

5-توهين النكبة:

عبر هذا الأسلوب، يعمل الإعلام الأميركي على التقليل من قيمة حدث النكبة، بحسب دراسة شوباك. ففي «الوول ستريت جورنال» مثلاً، يعرّف الكاتب النكبة بأنها «مغادرة الفلسطينيين لمنازلهم»، ويعطي شوباك هنا أهمية لاستخدام كلمة «مغادرة»، التي تهدف إلى التقليل من شأن وحجم فظائع التهجير التي عاشها الفلسطينيون. ثم يستدل لاحقاً بوصف لصورة نشرت مع مقال آخر في الصحيفة نفسها: «عندما خسر آلاف الفلسطينيين منازلهم مع إقامة دولة إسرائيل». من جديد، هناك تقليل من أهمية حدث النكبة في السرد التاريخي وتقليل من أعداد الفلسطينيين المتضررين ولا ذكر لأي شهيد فلسطيني، كما أن النكبة، مرة أخرى، توصف كحدث عشوائي اعتباطي تصادف مع إقامة الدولة، أي أن المعلومات التي تخص الضرر والعلاقة بين الحدثين والأعداد التي تضررت غير دقيقة.

6-شيطنة الفلسطيني:

الأسلوب السادس، وفق الدراسة، هو التشويه. أي، وكما في المثال الذي يذكره شوباك، يتعمّد كتّابٌ في «النيويورك تايمز» تشويه، بل وشيطنة، صورة الفلسطينيين والعرب، بحيث يدّعون أن حلم الفلسطيني في تدمير «دولة إسرائيل»، وكذلك تعليم أطفالهم الحقد، إضافة إلى استحضار صورة الوطن في أذهانهم دوماً، وتذكيرهم بما ارتكب في حقهم، هو ما يحول بالنسبة إليهم دون إتمام عملية السلام، ملقين اللوم خاصة على اللاجئين. أي أنه بالنسبة إلى هؤلاء الكتّاب، فإن الحل الوحيد للصراع هو أن يتخلى الفلسطينيون عن حقهم في العودة، وأن يقبلوا بالنكبة كأمر واقع.

7-إنكار الفظاعة:

يجادل شوباك هنا أن إنكار فظاعة المجازر تنعكس في البيانات التي جمعها خلال دراسته. ويطرح هنا أمثلة على إنكار حدث النكبة بالمقام الأول، ويستدل بعدة مقالات تثبت أن الإعلام الأميركي ينتقي كلماته في الحديث عن النكبة تبرئة لإسرائيل من كل ما ارتكبته من فظائع لإقامة دولتها غير الشرعية. إذ يستخدم الكتّاب في «النيويورك تايمز»، مثلاً، جملاً تخفي أي جرائم مثل «خسارة الفلسطينيين لبيوتهم». وقسماً آخر من الكتّاب يخفف من وطأة الحدث حتى إن اعترف به، ففي مقال في «الوول ستريت جورنال» يصوّر الكاتب أن الحديث عن الفاعل في سياق النكبة نقاش مثير للجدل، أو أنه أمرٌ قابل للنقاش، أي أنه من غير الواضح إن كانت العصابات الصهيونية قد ارتكبت أيّ مجازر خلال النكبة.

8-لوم الضحية:

أسلوب يتعمّده دائماً المستعمِر الغربي وماكينة البروباغاندا التابعة له، لأنّه لا ينبع فقط من رغبة تلميع صورته أمام العالم، بل من احتقار للشعوب المستعمَرة. يثبت شوباك لوم الإعلام الغربي للفلسطينيين على نكبتهم، وعلى لجوئهم، وعلى «تعثر عملية السلام»، التي ترجع إلى عدم تقديمهم تنازلات كافية عن حقوقهم.

ويستدل هنا بمقال في «النيويورك تايمز» يجادل بأهمية السماح للفلسطينيين بالتعبير عما عاشوه وعن حاجتهم إلى اعتراف إسرائيل بدورها في النكبة. ويعلّق شوباك هنا بأن هذا الأسلوب يتبع مع المرضى المصابين بالتروما، حيث عليهم الحديث عنها لتخطيها وتجاوزها، وأن الفلسطينيين هنا بالنسبة إلى كتّاب «النيويورك تايمز» ليسوا ضحايا فقط، بل هم مسؤولون عن قراراتهم. مثال آخر، وهو مقال في «الواشنطن بوست» يدّعي أن أفعال العرب هي ما يدفع إسرائيل، وحتى يستفزّها، لضم مناطق أخرى من فلسطين المحتلة مثل شرقي القدس، وهكذا يلام الفلسطينيون بدل المستعمِر.

الصوت الفلسطيني

مقابل المعطيات التي تدعم الرواية الصهيونية في التغطية الإعلامية، يستعرض شوباك بعض الكتابات الفلسطينية والصوت الفلسطيني عن النكبة، ويوضح عدم توازنها في الكمّ مع ما يكتب لمصلحة الرواية الصهيونية. فالكتابات التي لا تتبع الأساليب الثمانية في الإعلام الأميركي تكاد لا تشكّل بضعة أعشار في التغطية الإعلامية، كما أن الكتابات التي يستعرضها شوباك في دراسته هي لكل من: رجا شحادة، حنان عشراوي، نورا عريقات، وميريم البرغوثي، في الصحف الأربع، تندرج تحت مقالات «الرأي»، أي أن الصوت الفلسطيني وما يسرد من حقائق عن النكبة هو مجرد رأي، وهو المتوقع كون أن الإعلام الغربي يدّعي بأن الحقائق التي تتعلق بالنكبة هي محل نقاش أو مثيرة للجدل.

يختم شوباك بأن إنكار النكبة يقع تحت مظلة إنكار المجازر والفظائع المقبول مجتمعياً «أنغلوأميركياً». وأنه، ومع هذا الاستمرار في الانحياز ضد الفلسطينيين، لا يمكن لأي عملية سلام أن تتحقق، لأن التغطية الإعلامية التي فشلت في إعطاء القراء أي فكرة عن الوضع، لها دور رئيسي في استمرار هذا الانحياز، ما يساهم في تبرئة إسرائيل ويعطيها غطاءً لاستمرار سياساتها بحق الفلسطينيين.

العلاقة بالخطاب الصهيوني

رغم أن شوباك قام بمسح طويل للتغطية الإعلامية الأميركية بخصوص النكبة، مفصلاً أساليب إنكارها، إلا أن ما تغفل عنه الدراسة هو تحليل العلاقة بين الإعلام الغربي والخطاب الصهيوني، إذ لا يمكن أن ننسى كون «دولة إسرائيل» أوضح وجه للاستعمار المعاصر وروابط ذلك مع الغرب. لذلك، ليس الحال أن الإعلام الغربي «يفشل» في تغطية صراعنا أو إيصال صوتنا، كما يرى شوباك، بل هو جزء من المنظومة الغربية الإمبريالية. بكلمات أخرى، هو شريك في الجريمة، وبناءً على هذا، لم تكن يوماً معركتنا الإعلامية هي إقناع قنوات وصحف بورجوازية أميركية أو كتّابها بمساندة قضيتنا ودعمها. فما قد يراه شوباك «تقصير الإعلام الغربي»، هو معركة إعلامية ضدنا، يستطيع الغرب تمريرها مدّعياً ديموقراطية مزيفة عن طريق إشراك البعض في الحوار. وهو ما يذكره غسان كنفاني في دراسة حول قضايا التعامل الإعلامي والثقافي مع العدو، حيث يقول: «إننا بصورة إجمالية، وعلى الرغم من كل تجاربنا، لم نستوعب بعد مدى انحياز وسائل الإعلام البورجوازية إلى الحركة الصهيونية التي تراها كجزء حيوي من منطقها وتطلّعاتها. وحسنٌ ظنّ كثير منّا بكمّية مظاهر الديموقراطية الحرة وجدواها في وسائل الإعلام هذه، وطابع "البرلمانية" و"الحوار" الذي تمنحه لنفسها، هما في الواقع نتيجة مدى تغلغل سطوة هذه الوسائل الإعلامية في عقول بعضنا».

ما ندركه كفلسطينيين، وما يذكره كنفاني أيضاً، هو أن معركتنا الإعلامية ليست مجرد مبارزة كلامية على شاشات التلفاز أو حرب الرواية في الصحف، وأبسط دليل على ذلك أن كل مساعينا في تصويب الرواية باءت بالفشل، لأن الغربي يتناسك حين تُقتل وتُهجّر وتُسجن، ويُجبر على ذكرك حين تقاوم وتصوّب الرواية بنفسك. وهو ما حدث في أيار 2021 حين أجبر الإعلام الأميركي على استضافة متحدّث كمحمد الكرد الذي لم يحاول تجميل حقيقة الاحتلال، وتعرّض للملاحقة والحصار ومحاولة تكميم فاه بعدها حين خفّت وطأة الأحداث.

بكل بساطة، من يدّعي مناصرة حقوق الإنسان في الغرب لن يلتفت إليك حين تُقتل، لكنه سيهبّ للدفاع عن حقوق الإنسان حين تقاوم أنت مستعمريك، وحينها سيجير على أن يسمع صوتك، ومن هنا ندرك أن ما سيحقق السلام للفلسطيني هو هزيمة الاستعمار، لا تصويب رواية من ينحاز ضده، لأن جدوى مقاومته هي ما تنتشله دوماً من هامش التاريخ لتصوّب الرواية وتكتب تاريخه الثائر.

في دراسة أخرى لكنفاني، يقول إن المعارك الإعلامية في الغرب تأخذ شكل المواجهة بين اليمين واليسار على البلد المعني، وأن ما يمكن أن نفعله هو أن نستغل تلك التناقضات لدفع اليسار نحو مقاومة الرجعية. إلا أن ما يختلف في هذه المعركة، بالنسبة إلينا، هو تغيّر شكل اليسار الغربي في وقتنا الحالي، فتحوّل من قدرته على الانخراط في صراعات الجنوب العالمي، والانخراط في صفوف المقاومة، إلى الانخراط في نشاطات الحفاظ على البيئة وتنظيم حملات هدر الحليب في المحال التجارية. وفي فلسطين على وجه الخصوص، نرى صورة الناشط الغربي الأكثر تقدّمية، الذي يأتي مع منظمات حقوقية مبنية من شبكة نهب ثرواتنا، ليسكن في بيت لا يمتلك الفلسطينيون أنفسهم ثمن استئجاره، ثم ينظّم وقفة دبلوماسية غاضبة أمام منزلٍ لفلسطيني يُهدم أمام عينيه. وعلى الصعيد الإعلامي، برز دور اليسار الليبرالي في تمويل منصات إعلامية مستقلة تكتب باللغة العربية، بلسان عربي، ما يثبت حجم تغلغل الغرب من أقصى يمينه إلى يساره الجديد في الإعلام العالمي، وحتى نجاحه في تجنيد السنة عربية تخدم روايته وهيمنته.

ختاماً، عند تحليل خطابات الإعلام الغربي وأساليبه في تغييبنا عن المشهد، علينا إدراك موقع من يكتبها، إذ يسخّرها في خدمة مصالحه السياسية والطبقية. فالإعلام الغربي، بشكل عام، وبالرغم من تغيّر صراعات مجتمعاته الداخلية، دائماً ما يجد طريقة لمحاولة محونا من التاريخ إلى حين أن نستنهض قوانا لمحاربة معاركه ضدنا على الأرض وفي الإعلام.

ليس الحال أن الإعلام الغربي «يفشل» في تغطية صراعنا أو إيصال صوتنا، كما يرى شوباك، بل هو جزء من المنظومة الغربية الإمبريالية. بكلمات أخرى، هو شريك في الجريمة

البلاد

إسرائيليات

الكيبوتس
تجربة «الصهاينة الماركسيين» في استيطان فلسطين

حسام عبد الكريم

بدايات القرن العشرين، بدأت حركة الكيبوتس في أوساط فئة من اليهود الصهاينة المهاجرين إلى فلسطين، وخصوصاً القادمين من روسيا وشرق أوروبا. كانت فكرة الكيبوتس (الكلمة عبرية وتعني مستوطنة زراعية جماعية) مزيجاً هجيناً من الأفكار الصهيونية والشيوعية. نقول هجيناً لأن الماركسية التي كانت أيامها في طور انتشار واسع في روسيا، واستغلتها الحركة الصهيونية حين نشأت في أوروبا.

رأى الصهاينة من ذوي النزعة الماركسية في مشروع الكيبوتس تحقيقاً لفكرتين: الحياة الجماعية القائمة على المساواة والملكية المشتركة، وهو ما بشرت به الشيوعية، والعمل الزراعي والارتباط بأرض الميعاد، وهو ما دعت إليه الصهيونية. وينبغي تذكّر أن اليهود بشكل عام، لم يتخرطوا في العمل الزراعي ولا الفلاحة في كل تاريخهم المعروف في جميع البلدان التي عاشوا فيها، بل كانوا يتجهون في الأغلب إلى الحرف اليدوية والصرافة والتجارة. ولذلك كان مهماً جداً للصهيونية أن تغيّر تلك الحال، وأن تثبت أن اليهود لديهم انتماء للأرض واستعداد للعمل في ترابها ومائها وشجرها، وخصوصاً فلسطين التي اختاروها لتكون وطنهم القومي.

الرواد الأوائل لحركة الكيبوتس أرادوا أن يجسّدوا الحلم الصهيوني في اليهودي القوي، المزارع المقتدر، والجندي الشجاع المتحرر من خوف وعقدة الشتات. أرادوا أن يعيشوا مثالية الكيبوتس، حيث المساواة الاجتماعية بلا أي ملكية فردية، فكل شيء للجماعة والفرد يذوب في المجموع. لم تكن هناك أجور ولا مرتبات للأفراد الذين يعملون معاً، يأكلون معاً، وينامون معاً بلا امتيازات ولا طبقات.

الأطفال كانت تتم تنشئتهم بصورة جماعية، حتى أن الولد بالكاد يعرف أباه؛ بعمر ستة أشهر يُفصل الرضيعُ عن أمه ويُنقل إلى جناح خاص للأطفال، حيث يوجد مشرفون أو مشرفات يتناوبون على رعاية الأطفال وإطعامهم والعناية بهم. جناح الأطفال كان بعيداً من أماكن نوم البالغين الذين أيضاً كانوا ينامون في أماكن تكاد تتعدم فيها الخصوصية، الملابس في رفوف وخزائن مشتركة، والأبواب بلا أقفال. الطعام يقدّم بصورة جماعية بعد العودة من العمل بالحقل، حيث يجلس أعضاء الكيبوتس ليتناولوا معاً ما أعده لهم رفاقهم الذين كان عليهم الدور في الطبخ. لم يحصل في حياة الكيبوتس أن أماً أعدّت لابنها طعاماً تختصّه به، ولا غسلت ثيابه، ولا همست في أذنه باغنية ما قبل النوم. تلك القسوة لم تكن بالأمر الطبيعي، بل ليست أمراً بشرياً وتحتاج إنساناً في منتهى الالتزام الأيديولوجي لممارستها. الأطفال كانوا يعانون من غياب أمهاتهم وتغيّر حاضناتهم، وهناك شهادات كثيرة نشرتها الصحف الإسرائيلية لأشخاص نشأوا في كيبوتسات، ذكروا فيها أنهم كانوا يُجبرون على النوم بشكل جماعيّ، ولا يسمح لهم برؤية أمهاتهم وأبائهم، بعد عودتهم من العمل، إلا لفترة قصيرة ثم يُعادون إلى مهاجعهم المخصصة لهم. والطفل الذي كان بفطرته يتسلل ليلاً ليذهب إلى الجناح الذي تقيم فيه أمه ليُنعم بحنانها ودفء صدرها، كانت

> **الصهاينة كانوا مدركين وواعين تماماً للطبيعة العدوانية للكيبوتسات تجاه أهل البلاد الأصليين من العرب الفلسطينيين. لم تكن لديهم أية أوهام بهذا الشأن**

تتم إعادته قسراً إلى مكانه البعيد. ولا شك أن هذا الفصل القسري، الجسدي والعاطفي، عن الآباء والأمهات كان يترك تأثيراً عميقاً في شخصيات الأطفال الذين كان يفترض بهم أن يروا الكيبوتس أماً لهم وأباً. نظام الكيبوتس كان يعتبر أن المشاعر الفردية الحميمة من شأنها أن تشتت انتباه الفرد عن المشروع الصهيوني الكبير، وتضعف انتماءه للجماعة. تنشئة الأطفال في الكيبوتس كانت تهدف إلى إنتاج صهاينة متساوين وأقوياء. لا مجال للعواطف. التعبير عن المشاعر يعتبر ضعفاً يجب تجنبه. أحد الذين نشأوا في كيبوتس، اسمه نوعام شبنسر، قال لصحيفة إسرائيلية: «أنا لم أبكِ مطلقاً منذ بلغت سن العاشرة. كثيراً ما كنت أرغب في البكاء ولكن لا أستطيع». وأضاف «خلال فترات نومنا الإجبارية كان المشرفون يجعلون وجوهنا نحو الحائط، ونحن في الفراش. وشيئاً فشيئاً طورنا نحن الأطفال نظام تواصل سري في ما بيننا، مثل السجناء. دقة واحدة على الحائط تعني: هل أنت مستيقظ؟ دقتان تعني: نعم. ثلاث دقات: انتبه فالمشرفة قادمة!».

من ناحية أيديولوجية، أراد رواد الكيبوتس أن ينسلخوا عن بنية نظام العائلة التقليدي الموروث، لصالح نظام جماعي. ليس هناك الكثير من الأمثلة في التاريخ على نظام تنشئة ومنامات وحياة جماعية مثل الكيبوتس. النساء في الكيبوتس كنّ كالرجال، في العمل الزراعي والوظائف وحتى حمل السلاح. نظام الكيبوتس كان يهدف لتحرير المرأة من وضعية العائلة التقليدية.

كان الأطفال يعلّمون أن الملكية الفردية شرّ، والرأسمالية شرّ، وأن العالم الخارجي ينخره الفساد. لم يخطر ببال رواد الكيبوتس أن الفساد والضعف ممكن أن يصل إلى مجتمعهم المثالي. في الكيبوتس، لم يكن هناك حافز قوي للتعليم المدرسي. نظام الكيبوتس يكفل لجميع أعضائه الوظيفة والعمل، السكن والطعام. في الكيبوتسات الأولى، أغفل نظام التدريس الامتحانات والدرجات للطلاب. كان هناك نفور من مبدأ التمييز بين الطلاب حتى على أساس الكفاءة والذكاء. ومن أجل منع تكوّن الفوارق بين الأعضاء، أهمل نظام الكيبوتس فكرة التخصص. الوظائف القيادية في الكيبوتس كانت تمنح للأعضاء على أساس المداورة بينهم وليس على أساس المواهب والميول والتدريب. اعتقد رواد الكيبوتس أن نظامهم سوف يتمكن من المحافظة على نمط حياة لأعضائه، يستند للمبادئ والثقة والروح الجماعية على المدى الطويل، وأنه سوف يقاوم تأثيرات العالم الخارجي وأنه سيحمي نفسه من الأمراض والعلل التي لوثت المجتمعات البشرية منذ فجر التاريخ: الطمع والحسد والأنانية.

العمل الزراعي كان جوهر حياة الكيبوتس. الرجال والنساء على السواء كانوا يعملون كفلاحين في الحقول. الأماكن التي أقيمت عليها الكيبوتسات الأولى في فلسطين كانت مناطق خصبة وذات قابلية للتطوير الزراعي، نجحت الوكالة اليهودية في الحصول عليها عن طريق رشوة بعض الحكام الإداريين الفاسدين أيام الدولة العثمانية أو عن طريق شرائها من عائلات إقطاعية لبنانية أو سورية.

الصهاينة كانوا مدركين وواعين تماماً للطبيعة العدوانية للكيبوتسات تجاه أهل البلاد الأصليين من العرب الفلسطينيين. لم تكن لديهم أية أوهام بهذا الشأن ولذلك بدأوا مبكراً في إعداد مجتمعاتهم الكيبوتسية للصراع المسلح مع العرب، وشيئاً فشيئاً حوّلوا الكيبوتسات إلى مواقع عسكرية متقدمة في خدمة المشروع الصهيوني تدريباً وتسليحاً وجاهزية للقتال.

لم يكن هناك اهتمام يذكر بالدين في مجتمعات الكيبوتسات الأولى التي كانت ذات طبيعة علمانية صارمة. ولكن بمرور الوقت، وفي مراحل متأخرة، تم إنشاء عدة كيبوتسات مخصصة لليهود المتدينين، وبها أماكن للعبادة. وبشكل عام كانت الكيبوتسات رأس الحربة للحركة الصهيونية، وكانت تطلب من أعضائها استخدام اللغة العبرية وحدها للتخاطب من أجل تدعيم هوية يهودية متميزة، والتمهيد للوطن القومي اليهودي في فلسطين.

شيئاً فشيئاً تضاءلت أعداد الكيبوتسات ولم يعد ينضم لمجتمعاتها أعضاء جدد كثيرون. تحول تركيز الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة إلى المستوطنات التقليدية التي صارت تستقطب المهاجرين الجدد، ومع بدايات القرن الواحد والعشرين انتهت الكيبوتسات فعلياً، وصارت من التاريخ بعد أكثر من 80 عاماً من تأسيس أولها.

موشيه ديان (يمكن ترجمة اسمه للغة العربية كما يلي: القاضي موسى)، ولد عام 1915 في كيبوتس ديغانيا، قرب بحيرة طبريا في أعالي الجليل الفلسطيني. أبواه البيولوجيان هما شموئيل وديفوره ديان، مهاجران من أوكرانيا وصلا فلسطين عام 1908. كان ديغانيا أول كيبوتس على الإطلاق يتم تأسيسه في فلسطين، وذلك عام 1910 على يد 11 رجلاً وامرأة.

كان موشيه ديان ثاني مولود يولد في كيبوتس على الإطلاق، سبقه واحد فقط (جدعون باراتز عام 1913). سمّي ديان على اسم موشيه بارسكي، وهو عضو مؤسس في «ديغانيا» قتل في اشتباك مع العرب في المنطقة. كان أبوه من النواة الصلبة للمتدلجين الصهاينة، ومن رواد حركة الكيبوتس. ربما بتأثير الطبيعة الجافة والخالية من العواطف في الكيبوتس، لم يكن موشيه ديان يكنّ لأبيه مشاعر حبّ تذكر. كتب ديان في ما بعد: «لم أكن أحترم أبي على الإطلاق!» وقد وصف طفولته وسنواته الأولى في «ديغانيا»، فقال: «من الصباح الباكر كنت أواجه الحر والعطش، والماء الآسن. بعد الظهر تأتي الرياح الجافة اللاهبة. وفي الليل، العرق والغبار والبعوض الذي ينقل الأمراض للإنسان والحيوان».

عندما بلغ موشيه ديان السادسة من عمره، انتقل أبواه للعيش في مستوطنة زراعية تأسست حديثاً اسمها «نحالال»، غير بعيدة من «ديغانيا». تلقى أول تعليم له في كوخ هش بني في «نحالال» حيث كان مدرّس شاب يحضر ليعطي دروساً للتلاميذ. في فترة لاحقة انضم ديان إلى مدرسة البنات التي أقيمت في «نحالال» حيث كان يمضي ساعتين في اليوم. وعندما بلغ العاشرة كان ينهمك في العمل الزراعي: يحلب الأبقار، يقود عربات البغال، يحمل المحاصيل وينثر البذور. وفي تلك الفترة تعلم ديان المحادثة باللغة العربية عن طريق المخالطة مع أحد البدو في المنطقة، اسمه «الوحش»، أصبح صديقاً له.

عندما تصاعدت حدة التوترات بين العرب واليهود في أواخر العشرينيات انضم ديان، وعمره 14 سنة، إلى الفريق الأمني الذي شكله الصهاينة لتسيير دوريات لحراسة مستوطنة «نحالال» والكيبوتسات المجاورة، كان بارعاً في ركوب الخيل وأظهر جرأة وجسارة، وبانت عليه الصفات القيادية مبكراً. وفي أحد الاشتباكات مع العرب تلقى ديان ضربة قوية على رأسه بواسطة قضيب ثقيل، مما أوقعه فاقداً الوعي بارتجاج في الدماغ.

هكذا كانت بداية موشيه ديان، ابن الكيبوتس، في طريق الصعود في سلّم العسكرية.

ونقاوم

مناشير الانتفاضة:
مخاطرة التوزيع... فرحة التنفيذ

موسى جرادات

على وقع انتفاضة الحجارة، التي اندلعت في عام 1987، وما رافقها من أدوات مساندة ومكمّلة لها، ظهر البيان، أو ما يسمّيه أهل الأرض المنشور، كإحدى أهمّ الوسائل الإعلامية التي حدّدت المسار والمهمات والبرامج العملية ليوميات الانتفاضة مسبقاً.

الانتفاضة، في الواقع، لم تكن انتفاضة حجارة فقط، كانت فيها أدوات أخرى أيضاً، كانت شاملة وكاملة على المحتل. المناشير وقتها أدّت دوراً مهماً في صناعة المواجهة مع الاحتلال، دور خارجي برز كتحدٍّ يومي للأجهزة الأمنية الاحتلالية، وداخلي كمحفز معنوي للأهالي، ودليل على وجود قيادة سرية متماسكة تدير الانتفاضة عبر برنامج عمل متكامل، يحمل رؤية سياسية، ويقدم المنجزات النوعية التي أحدثتها في الأشهر الماضية، حسب محتوى المنشور.

في انتفاضة الحجارة، امتاز المنشور بأنه يحدث الفارق، ويشير إلى أن زمن الانتفاضة متواصل وسيتواصل رغم بفعاليات الانتفاضة.

ومع مرور الوقت، أصبحت التناقضات الداخلية الفلسطينية ظاهرة للعيان، القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة من جهة، وحماس من جهة أخرى، أرادتا القول إن الانتفاضة من صناعتها وقيادتها وحدها، لهذا دخل المحتل على هذا التناقض، عبر الزج بمناشير وبيانات مزورة، أرادت إحداث الوقيعة بين تلك القوى.

من الذاكرة: «المهمة الأولى»

بعد أسبوعين فقط من اندلاع الانتفاضة، طلب مني محمد، الجار مؤطّراً أو غير مؤطّر، كان منخرطاً الانتفاضة متواصل وسيتواصل رغم أنف الاحتلال الذي كان يراهن وقتها على إخماد هذه الهبّة الصغيرة من وجهة نظره وقتها.

مع الإشارة إلى أن المنشور لم يكن يصدر عن جهة واحدة، إلا أن لغته ومحتواه لأيّ فصيل انتمى كان يعبّر عن مكنونات الفلسطينيين جميعاً، من حيث الأهداف العليا، والتصدي المطلق للاحتلال، والحرية والاستقلال كهدف منشود. في الضفة الغربية وقطاع غزة، عملت ثلاث قوى رئيسية، منفصلة بعضها عن بعض، على إصدار المنشور وتوزيعه، القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة التي تضمّ مختلف فصائل منظمة التحرير، وحركة حماس، وحركة الجهاد الإسلامي، جميعها كانت تسابق الزمن لفرض وقائعها على الأرض، في منافسة كانت في بدايتها مشروعة، فالميدان هو الذي كان يحدّد الأوزان لكل تلك القوى المنخرطة والمشاركة في الانتفاضة، مع الأخذ بالحسبان أن الشعب الفلسطيني، بالصديق، الاستعداد ليوم الجمعة القادم، لتوزيع البيان الأول لحركة الجهاد الإسلامي. لم أكن وقتها عضواً في تلك الحركة، مشاعري الداخلية كانت تميل وقتها نحو اليسار الفلسطيني، لكني قبلت عرض محمد، وانتظرت حتى صباح ذلك اليوم، والمهمة كانت تقتضي السفر من قريتي السبلة الحارثية إلى مخيم جنين، وبالتحديد إلى مسجد المخيم الذي يقع على أبواب المخيم، جنين، الذي لا يبعد عن المسجد سوى أمتار قليلة. الخوف من الانكشاف كان يطغى على هذه المهمة، الدقائق التي مرت على تنفيذها كانت تمر كأنها ساعات طويلة. تحزمت بمئات الأوراق، بعدما بطنتها على خصري بكوفية فلسطينية، وأخفيتها تحت القميص، مضافاً إليها جاكيت شتوي طويل. ركبت السيارة متوجهاً إلى مدينة جنين، ومنها ذهبت مشياً على الأقدام باتجاه مسجد المخيم. في ذلك اليوم، كانت أول زيارة لي إلى المخيم، لم أكن قد رأيت مخيماً من قبل، وعلى بعد أمتار قليلة من مسجد المخيم، عند بسامتاريس وبيانات مزورة، أرادت فوجئت بدورية للاحتلال، كأنها كانت تتهيّأ لقمع تظاهرة، ربما كانت ستخرج من المسجد، المفاجأة حاولت أن تصنع بداخلي التردد والانسحاب من المكان، لكن عامل القرب المكاني من دورية الاحتلال منعني من الانسحاب، أو بالمعنى الحرفي والحقيقي الهرب. فكرت بمحمد وقتها، ماذا سيقول لي عندما أعود إليه، وقد فشلت في هذه المهمة المتواضعة وفق تقديره، الخطيرة جداً بالنسبة إليّ. لم أحسم أمري واتوجّه إلى المسجد بمحض إرادتي، الواقع هو الذي فرض ذلك، وصلت إلى الدورية الاحتلالية، العناصر المترجلين منها، أخذوا ينظرون نحوي، لكن لم يسألني أحد منهم أو يفتشني، بعدما قدّروا صغر سنّي ربما، وملامحي الطفولية، وقتها كنت في سن الخامسة عشرة، أو لربما لم تكن معهم أوامر للتفتيش. دخلت في المسجد، كانت خطبة الجمعة لم تبدأ بعد، لكن المفاجأة الأولى بدأت بمشاهدة أكثر من خمسة أشخاص من الأقارب والمعارف من قريتي، خشيت أن ينفضح أمري، واتعرّض للانكشاف، طويل. ركبت السيارة متوجهاً إلى مدينة جنين، ومنها ذهبت مشياً على الأقدام باتجاه مسجد المخيم. في ذلك اليوم، كانت أول زيارة لي إلى المخيم، لم أكن قد رأيت مخيماً من قبل، وعلى بعد أمتار قليلة من مسجد المخيم، عند فوجئت بدورية للاحتلال، كأنها كانت تتهيّأ لقمع تظاهرة، ربما كانت ستخرج من المسجد، المفاجأة حاولت أن تصنع بداخلي التردد والانسحاب من المكان، لكن عامل القرب المكاني من دورية الاحتلال منعني من الانسحاب، أو بالمعنى الحرفي والحقيقي الهرب. فكرت بمحمد وقتها، ماذا سيقول لي عندما أعود إليه، وقد فشلت في هذه المهمة المتواضعة وفق تقديره، الخطيرة جداً بالنسبة إليّ. لم أحسم أمري واتوجّه إلى المسجد بمحض إرادتي، الواقع هو الذي فرض ذلك، وصلت إلى الدورية الاحتلالية، العناصر المترجلين منها، أخذوا ينظرون نحوي، لكن لم يسألني أحد منهم أو يفتشني، بعدما قدّروا صغر سنّي ربما، وملامحي الطفولية، وقتها كنت في سن الخامسة عشرة، أو لربما لم تكن معهم أوامر للتفتيش. دخلت في المسجد، كانت خطبة الجمعة لم تبدأ بعد، لكن المفاجأة الأولى بدأت بمشاهدة أكثر من خمسة أشخاص من الأقارب والمعارف من قريتي، خشيت أن ينفضح أمري، واتعرّض للانكشاف، طويل. ركبت السيارة متوجهاً إلى مدينة جنين، ومنها ذهبت مشياً على الأقدام باتجاه مسجد المخيم. في ذلك اليوم، كانت أول زيارة لي إلى المخيم، لم أكن قد رأيت مخيماً من قبل، وعلى بعد أمتار قليلة من مسجد المخيم، عند فوجئت بدورية للاحتلال، كأنها كانت تتهيّأ لقمع تظاهرة، ربما كانت ستخرج من المسجد، المفاجأة حاولت أن تصنع بداخلي التردد والانسحاب من المكان، لكن عامل القرب المكاني من دورية الاحتلال منعني من الانسحاب، أو بالمعنى الحرفي والحقيقي الهرب. فكرت بمحمد وقتها، ماذا سيقول لي عندما أعود إليه، وقد فشلت في هذه المهمة المتواضعة وفق تقديره، الخطيرة جداً بالنسبة إليّ. لم أحسم أمري واتوجّه إلى المسجد بمحض إرادتي، الواقع هو الذي فرض ذلك، وصلت إلى الدورية الاحتلالية، العناصر المترجلين منها، أخذوا ينظرون نحوي، لكن لم يسألني أحد منهم أو يفتشني، بعدما قدّروا صغر سنّي ربما، وملامحي الطفولية، وقتها كنت في سن الخامسة عشرة، أو لربما لم تكن معهم أوامر للتفتيش. دخلت في المسجد، كانت خطبة الجمعة لم تبدأ بعد، لكن المفاجأة الأولى بدأت بمشاهدة أكثر من خمسة أشخاص من الأقارب والمعارف من قريتي، خشيت أن ينفضح أمري، واتعرّض للانكشاف، طويل. ركبت السيارة متوجهاً إلى مدينة جنين، ومنها ذهبت مشياً على الأقدام باتجاه مسجد المخيم. في ذلك اليوم، كانت أول زيارة لي إلى المخيم، لم أكن قد رأيت مخيماً من قبل، وعلى بعد أمتار قليلة من مسجد المخيم، عند فوجئت بدورية للاحتلال، كأنها كانت تتهيّأ لقمع تظاهرة، ربما كانت ستخرج من المسجد، المفاجأة حاولت أن تصنع بداخلي التردد والانسحاب من المكان، لكن عامل القرب المكاني من

> **اتذكّر جملة ذكرت في البيان، تقول وهي تخاطب الشعب الفلسطيني، «إننا بدأنا ندقّ المسمار الأخير في نعش الاحتلال»**

استعداداً لتوزيع المنشور، عندما أتمّوا نية الصلاة، وبدأ الإمام تلاوة القرآن، أخرجت كوفيتي ومناشيري، أخفيت وجهي بها، ووضعت أمام كل مصلٍّ المنشور أمامه، وعندما انتهيت خرجت من المسجد، وأنا أفكر بدورية الاحتلال، ماذا ستفعل بي وأنا الخارج من المسجد وحيداً قبل أن تنتهي الصلاة؟ طرقت باب أحد البيوت الملتصقة بالمسجد، لربما خرجت من الجهة الأخرى للبيت، هكذا اعتقدت، لم يفتح أحد الباب، وضعت يدي على الباب، لم يكن مغلقاً، دخلت ساحة البيت، أمامي في الجهة المقابلة كان جدار يطلّ على مكان بعيد نسبياً من دورية الاحتلال، تسلّقت الجدار إلى الجهة المقابلة. في سنوات الانتفاضة، كانت أبواب بيوت الناس مفتوحة في الغالب، ولم يكن الغرباء وحدهم هم اللصوص، فمن الممكن أن يكونوا من نشطاء الانتفاضة، لهذا لم أشعر بالخجل مما فعلت، دخلت بيتاً من دون استئذان صاحبه وخرجت، وأنا في مهمة مقدسة، عدت إلى وسط المدينة، وركبت الباص عائداً من مهمتي الأولى الناجحة.

هناك في القرية، علمت أن عشرات الأشخاص انطلقوا للمهمة نفسها، طافوا قرى جنين، ووصلوا مساجد نابلس وطولكرم وبعض أريافهما، لم أكن وحيداً في هذه المهمة، وصل البيان إلى غايته، أتذكّر جملة ذكرت في البيان، تقول وهي تخاطب الشعب الفلسطيني، «إننا بدأنا ندقّ المسمار الأخير في نعش الاحتلال»، وبعد 35 عاماً على صدور هذا البيان، أسأل من صاغ البيان في ذلك اليوم وأنا أعرفه جيداً، كم يلزمنا من الوقت لننتهي من هذه المهمة؟ أسأله، لا معاتباً ولا محاسباً، ألم يحن الوقت من الانتهاء من هذه المهمة؟ أعرف أن زمن الانتفاضة الأول كان الزمن المشرق والبهي، الزمن الأسطوري الدافع الملهم، وأعرف أيضاً بعد مرور تلك السنوات، أن هناك الكثير من القوى في العالم لا تريد منا أن ننتهي من دقّ المسمار الأخير في نعش الاحتلال، تلك القوى تدرك لو فعلناها حقيقة لأنجزنا مهمة كبرى، وهي دقّ المسمار الأخير في نعش كل القوى المستعمرة، ففي فلسطين وحولها يظهر الصراع الدولي بلا غطاء، والإنسانية جميعها تمتحن على أرضها.

في ستينيات القرن الماضي، سأل غسان كنفاني في روايته «رجال في الشمس»، لماذا لم تدقّوا جدران الخزان؟ وبعد سنوات كان الشعب الفلسطيني يخرج من أزقّة مخيماته ليدقّ جدران العالم طولاً وعرضاً، وقبل الانتفاضة كان ناجي العلي يرسم حنظلة يحمل حجراً، وكان له ما أراد، حنظلة اليوم في كل مدن فلسطين وقراها ومخيماتها، موجود وحيّ ودائم، يحمل حجراً وخنجراً وبندقية.

وجهة نظر

المجتمع المدني «اللبناسطيني»
بين مطرقة التكفير وسندان التخوين

ظافر الخطيب *

«اللبناسطيني»، أو «اللبناسطينية»، هو كيان معنوي، نشأ وتطوّر كهجين فرضه منطق التكيّف بين المسموح وغير المسموح، أو الممكن جعله مسموحاً بين القوانين اللبنانية وبين شروط التطور التاريخية الخاصة لمجتمع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، واللاجئين الفلسطينيين في لبنان، بمعنى أنه نتاج التفاعل بين لبنان الرسمي الذي يحرم الفلسطيني من الحقوق المدنية والاجتماعية، وقدرة الفلسطيني على إيجاد طرقه على التأقلم مع الحفاظ على اشتباكه الرئيسي من أجل حق العودة.

ومن روح هذا التكييف وتلك القدرة على التأقلم، ولدت قاعدة احترام الأمر الواقع أو الاعتراف به لأهميته المرحلية، وربما لعدم الرغبة في نفيه أو تكسيره لاعتبارات لبنانية، وهي تطاول كل الأطر والكيانات الفلسطينية السياسية، العسكرية، الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية، لا سيما وأن الدستور اللبناني يعطّل الحق، والسياسات الرسمية تمنع وتتمنع، وذلك لخصوصيات تختص بها استثنائية الصيغة اللبنانية.

وعلى قاعدة أن كل شيء يسير من البسيط إلى المعقد، نشأت الجمعيات العاملة في الوسط الفلسطيني في لبنان ضمن مسار زمني يمتد لعقود من الزمن، من أواسط سبعينيات القرن العشرين وحتى الآن، من جمعيات لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، إلى عشرات الجمعيات الخدمية/الخيرية، والحقوقية والتنموية.

هذا التنوع ومثله هذا الانتشار، لم يمر بسلاسة تفرضها الحاجة وتحتمها ضرورات ملء الفراغ، بل تعرض إلى شيطنة متواصلة، فمضبطة الاتهام جاهزة من الفساد إلى المحسوبية والمنفعة الشخصية، وصولاً إلى الشيطنة ضمن الحيزين الوطني والديني، وتمدد من التخوين إلى التكفير.

إن غياب الاعتراف بالوضع القانوني للاجئين الفلسطينيين في لبنان (الحرمان من الحقوق المدنية والاجتماعية)، والأزمة الدائمة للعجز المالي لـ«الأونروا»، وغياب المرجعية الفلسطينية وبالتالي سياساتها المجتمعية، في ظل حضور الجمعيات العاملة في الوسط الفلسطيني، لا سيما في أثناء الأزمات والأحداث الكبرى (تدمير المخيمات كتل الزعتر، والبارد، والاشتباكات الداخلية، وأزمة النزوح السوري...)، الأمر الذي فرضها كممكن رئيسي، ودينامية فاعلة تساهم مساهمة مؤثرة في كل المجالات تقريباً.

وعلى هدي حركة وتطور الجمعيات العاملة في الوسط الفلسطيني شكلاً ومضموناً، كان المكون السياسي الفلسطيني يتعامل معها بازدواجية، بين الموقف الفعلي للعقل السياسي الفلسطيني، والقبول بها كأمر واقع أو باعتبارها تعالج قضايا ومشكلات لا قبل للسياسي بها.

يدخل تحت عنوان الازدواجية، هذا التناقض على مستوى الأدبيات، بين رفض المجتمع المدني والجمعيات ضمناً، وإنشاء جمعيات تدور في فلك التنظيم السياسي، أو تعمل وفقاً لأجندته الإعلامية، التعبوية والاجتماعية، وعليه تصير الجمعيات كافرة أو خائنة، تعمل وفق أجندة معادية إذا كانت خارج العباءة، وهي وطنية أو إسلامية إذا كانت تابعة أو خاضعة.

يمكن النظر لهذه المسألة من زاوية فهم استيعاب وقبول المجتمع المدني كظاهرة طبيعية نشأت في سياق تطور تاريخي بإشعاع عالمي، على اعتبار أن الجمعيات هي مكون واحد من مكونات المجتمع المدني، ويمكن حصر المسألة بالجمعيات، دورها، وظيفتها، أهميتها، وطبعاً بعيداً من التسييس والأدلجة، فصحيح أنها ظاهرة عالمية وتعتبر نتاج المركز الحضاري (الغرب الإمبريالي)، لكن هناك بعداً محلياً حتمته أو فرضته حاجات الواقع (استبداد السلطة،

> **صحيح أنها ظاهرة عالمية وتعتبر نتاج المركز الحضاري (الغرب الإمبريالي)، لكن هناك بعداً محلياً حتمته أو فرضته حاجات الواقع**

وانعدام الحريات وهيمنة السوق).

إنّ وضع العنوان العريض، المجتمع المدني، والخاص الجمعيات العاملة في الوسط الفلسطيني في لبنان، على مشرح الحوار ضمن ندوة وطنية فلسطينية جامعة يعتبر ضرورة لتحقيق فائدة، لكن ذلك يستوجب فلسطنة الحوار، والابتعاد عن التسييس والأدلجة، فكل شيء، يجب أن يتموضع تحت عنوان أولوية المصلحة.

هذا لا يعني أن المجتمع المدني (الجمعيات) هو من جنس الملائكة، فكما أنهم ليسوا شياطين المرحلة، هم أيضاً ليسوا ملائكتها، فهناك أسئلة مشروعة حول التمويل وحقيقة المال المشروط.

ومن باب المساهمة في طرح العنوانين على طاولة النقاش والتفاعل، فإن التمويل يأتي من مصادر محددة منتشرة من أوروبا إلى أميركا وكندا إلى اليابان والبلدان العربية (الخليجية)، وتتفرع بين تمويل رسمي (يتجه غالباً نحو «الأونروا») وتمويل مصدره الجمعيات غير الحكومية المناطق المذكورة سابقاً، التي هي بدورها إمّا مستقلة تنحاز للقضايا الإنسانية والحقوقية، وهي كثيرة في تلك البلدان، وإمّا خاضعة لتيار حزبي يسارياً ويمينياً، وفي أسوأ الأحوال واجهة لأجهزة استخباراتية.

ومثلما يقبل السياسي الفلسطيني ويؤمن أن هناك في تلك المناطق أصدقاء وحلفاء، أو متضامنين مع الحق الفلسطيني، فإن المستغرب ألا يقبل السياسي نفسه أن هناك جمعيات غير حكومية مستقلة ومنحازة للحق الفلسطيني، أو متضامنة من موقع إنساني، وبالتالي لا تعمل وفق أجندة سياسية، أيديولوجية، وهي تمثل فرصة للجمعيات الفلسطينية للحصول على تمويل.

أمّا عن قضية المال المشروط، وهي تستخدم بغير وعي أو علم، لا تعدو عن كونها شماعة يستخدمها البعض السياسي بغرض القصف على الجمعيات، وهي في حقيقتها تنبني ليس على الخوف على المجتمع الفلسطيني، بقدر ما هي خوف من تنامي دور المجتمع المدني وإمكانية تحوله إلى بديل، لا سيما وأنه يمتلك الوعي، والقدرة على الفعل، مع العلم أن القيادات الرئيسية في المجتمع المدني لا تطرح نفسها كقيادة سياسية، وأكثر من ذلك فإنها تحترم قاعدة تكامل الأدوار بين القوى الاجتماعية كافة.

على أن ما تقدّم لا ينفي المال المشروط، فهو موجود تاريخياً، أحزاب الحركة الوطنية الفلسطينية كانت تتلقى الدعم المالي، وبحكم غياب الشفافية، يمكن استخلاص حقيقة أن محاباة الأنظمة في الدول الداعمة، ودعمها في بعض الأحيان، حوّل الأموال من نطاق الدعم من دون مقابل إلى دعم بمقابل، بالتالي يدخل في نطاق شرطية المال، وكذلك الأمر بالنسبة للمجتمع المدني ومصادر التمويل، وهو الأمر الذي يمكن معالجته من خلال ترسيخ مبدأ الشفافية أولاً، ومن خلال الإيمان بوطنية المجتمع المدني وانتمائه الحاسم للقضية الوطنية.

على أن المسألة إن كانت حقاً للمجتمع الفلسطيني، فهي بالضرورة غير استثنائية، أي إنها لا تحصر النقاش بالجمعيات العاملة بالوسط الفلسطيني والملاحظات المطروحة حولها وعليها، فالتمويل وآليات الصرف والشفافية ليست حكراً على الجمعيات المستقلة أو شبه المستقلة، بل يجب أن تخضع لها كل أطر ومكونات مجتمع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، ومثلما تمتلك الأطر السياسية الحق في طرح السؤال، فإن المجتمع المدني وفي القلب منه الجمعيات، يمتلك الحق في مساءلة المكون السياسي حول التمويل وسبل استخدامه وتوزيعه.

وعلى ما تقدّم يبنى أن منهج النقد الديموقراطي هو ظاهرة صحية طالما أنها التزمت سلّم القيم والأخلاق، بعيداً من استخدام أو استغلال عناوين جدالية للتكسير والإقصاء، وطالما أنها تلتزم أيضاً المصالح العليا للاجئين الفلسطينيين في لبنان، فالمجتمع المدني الفلسطيني الذي يمتلك الوعي والخبرة والقدرة على الفعل والتفاعل يمكن اعتباره نقطة قوة وثروة وطنية لا هدفاً للتكفير و التخوين.

* كاتب وباحث أكاديمي فلسطيني

الأخبار
al-akhbar
السبت 17 كانون الأول 2022 العدد 4805

صورة وخبر

بعدما قرّرت التقاعد، كرّست مصفّفة الشعر الفيتنامية البالغة 71 عاماً، نغوين ثي كيم كوي، وقتها لإنقاذ الكلاب المشرّدة من شوارع هانوي بواسطة الـ «توك توك» الخاص بها، لكي لا ينتهي بها الأمر على أطباق العشاء. فهذا البلد، يستهلك ما يقدر بخمسة ملايين كلب سنوياً، إذ يعتبر لحمها طعاماً شهيّاً. لكن الدولة الواقعة في جنوب شرق آسيا تحاول التخلص التدريجي من هذا النوع من الاستهلاك. (أ ف ب)

المفكرة

«جائزة سليماني»: الخمسة الأوائل

■ أعلنت «جمعيّة أسفار للثقافة والفنون والإعلام» أخيراً أسماء الخمسة الأوائل في كلّ من فئات «جائزة سليماني العالميّة للأدب المقاوم» في دورتها الثانية، التي كانت مخصّصة هذا العام للقصيدة العَموديّة والرواية والقصّة القصيرة وسيناريو الفيلم القصير. وسيتمّ الإعلان عن أسماء الفائزين بالمراكز الثلاثة الأولى في كل فئة، والترتيب النهائي، بالإضافة إلى أسماء أعضاء لجان التحكيم، في احتفال يُقام في بيروت في أجواء ذكرى استشهاد سليماني في شهر كانون الثاني (يناير) المقبل. وضمَّت القائمة في فئة القصيدة العمودية كلّاً من: آيات جرادي من لبنان، وضياء الكيلاني من مصر، حسن عكلة ثجيل وفراس متاني وقاسم الشمري من العراق. أما في الرواية، فقد وصل إلى القائمة كل من فتح الله عمر ونجاح إبراهيم من سوريا، وحسن نعيم وحوراء حرب ومريم الأمين من لبنان. وعلى قائمة القصّة القصيرة، هناك رقيّة كريمي من إيران، وعبد الرحيم سليلي من المغرب، وآلاء شمس الدين وهلا ضاهر وحوراء حجازي من لبنان. كما تأهّل عن فئة سيناريو الفيلم القصير كلّ من روز إسماعيل من سوريا، وأحمد بزّي وعلي حمادي وقمر غندور وليلى سويدان من لبنان. (الصورة: النجم السوري أيمن زيدان في احتفال توزيع جوائز الدورة الأولى)

«بيروت ترنّم» بالكمان والبيانو

■ الليلة، نصل في مهرجان «بيروت ترنّم» إلى موعد من فئة موسيقى الحُجرَة مع عازف الكمان ياروسلاف سفيتشيني الآتي من تشيكيا، البلد الذي طالما قدّم موسيقيين كلاسيكيين كبار في كل المجالات، على رأسها قيادة الأوركسترا والعزف على الكمان والبيانو، والذي أحبّ موزار عاصمته مفضّلاً جمهورها على جمهور فيينا! ترافق ياروسلاف في الأمسية اللبنانية مواطنته لوسي توت. وعلى البرنامج، باقة منوّعة جداً من المقطوعات. قبل الاطلاع على البرنامج، يمكن أن يتوقّع المرء أن التشيكيين موجودين بين أسماء المؤلفين. فالتيار المسمّى «قومي» الذي نشأ في هذا البلد بين النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن الماضي، تغنّى بهذا البلد من خلال ارتكاز التأليف، في جزء منه، على تاريخ تشيكيا وإرثها الوطني الطبيعي أو البشري... والبداية مع أنطونين دفورجاك، المؤلف الأشهر في بلده ومن الكبار عموماً، إذ يؤدي الثنائي من ريبرتواره الـ «سوناتينا» من الصنف 100، قبل أن يأخذنا البرنامج في جولة إلى ألمانيا (برامز) وروسيا (رخمانينوف) وإيطاليا (مونتي وباغانيني) وفرنسا (ماسنيه) وصولاً إلى أميركا، ومن خارج الحلقة الكلاسيكية البحتة، مع ستينغ و«تانغو روكسان» من فيلم «مولان روج». نمرّ

أيضاً على تجارب عازف الكمان في التأليف من خلال مقطوعتَين تحملانه توقيعه. لكن الختام، كما الافتتاح، محجوز أيضاً لفخر الصناعة التشيكية مع سميتانا ومقتطفاً من مجموعة قصائده السمفونية الشهيرة، Má vlast (موطني). أما الجو العام للبرنامج، فيمكن اعتباره سهلاً وممتعاً لكل الأذواق والأعمار، بين الجدّية غير المفرطة لجزء منه والترفيه غير المفرط للجزء الآخر.

أمسية ياروسلاف سفيتشيني ولوسي توت: اليوم السبت ـ الساعة الثامنة مساءً ـ «كنيسة مار مارون» (الجمّيزة ـ بيروت). الدعوة عام. للاستعلام والحجز: www.beirutchants.com

دوم بيدرو الثاني... للصغار أيضاً

■ تواصل «دار النمر للفن والثقافة» (كليمنصو) احتضان «القنطرة، رحلات دوم بيدرو الثاني إلى العالم العربي/ 1871 ـ 1876» من تنظيم سفارة البرازيل في

لبنان. وفي سياق برنامجه العام، سيتمكّن الصغار الذين تراوح أعمارهم بين 8 و11 عاماً، اليوم السبت من المشاركة في «ورشة كتّاب رسوم متحركة للأطفال». بدايةً، سيقوم المشاركون الصغار بجولة سريعة في المعرض مع فادي سرياني من منصة «الشباب للتحريك». وخلال الورشة، سيتعرفون بعد ذلك على الرسوم المتحركة وسرد القصص من أجل إنشاء كتاب رسوم متحركة مستوحى من مغامرات دوم بيدرو الثاني خلال فترة الظهيرة.

«ورشة كتّاب رسوم متحركة للأطفال»: اليوم السبت ـ الساعة العاشرة صباحاً ـ «دار النمر للفن والثقافة» (شارع أميركا ـ كليمنصو/ بيروت). للاستعلام: 01/367013 **أو** info@darelnimer.org

«الغول»: عن الصيّاد والفريسة

■ يحرص «مسرح مونو» على دعم المواهب الشابة. هكذا، يتيح اعتباراً من 20 كانون الأوّل (ديسمبر)

الحالي الفرصة للفنان حمزة يزبك (الصورة) لتقديم المسرحية القصيرة «الغول» التي يتولّى تمثيلها وإخراجها. لا تتعدى مدّة العمل الـ 30 دقيقة، وهو مقتبس من مشروع الماجستير الخاص بالممثل اللبناني بديع أبو شقرا. وبحسب النص التعريفي الخاص بالمسرحية، إنّها «تحاكي قصّة شاب يعاني من الاضطراب النفسي والتّشتُت الأسري»، سيفسح له يزبك المجال لـ «الحديث» عن أنّه «لَمْ أكنْ يوماً الصّياد ولا حتى الفريسة، أنا رغبة الصيّاد وذعر الفريسة، أنا صمت الفخ الذي رسمه الصياد لفريسته».

مسرحية «الغول»: 20 و21 و22 و23 و27 و28 و29 و30 كانون الأوّل 2022 ـ الساعة السابعة والنصف مساءً ـ «مسرح مونو» (الأشرفية ـ بيروت). للاستعلام: 01/202422

الأخبار al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
امل الاندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص. ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الاوائل
15ـ 666314/ 01 ـ 828381 / 03
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 17 كانون الأول
العدد 4805 السنة السابعة عشرة
Samedi 17 Décembre 2022 nº 4805 17ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

(طلال سلمان بريشة التشكيلي السوري يوسف عبدلكي)

تحية

ابراهيم الأمين

عن أب «الأخبار» وأمّها

منتصف آذار (مارس) 1992، كان اجتماع التحرير الأول الذي أحضره في «السفير» بوجود «الأستاذ طلال». كنت قدمت من «النداء» جريدة الحزب الشيوعي الذي تربطه علاقات قوية مع «السفير». وكان الراحل سهيل عبود هو من سهّل دخولي إلى «السفير»، بعد اتفاقه مع فيصل سلمان الذي كان قد تسلّم منصب مدير تحرير المحليات في الجريدة.

في ذلك الاجتماع، بادرني أبو أحمد «الحمد الله ع السلامة»، والتفت إلى بقية الزملاء موضحاً «كان إبراهيم في إجازة وعاد إلى العمل». غمزني فيصل وقال لي «إنه إطراء، لكن المهم أن تنتبه إلى أنّ «السفير» ليست «النداء»، وأنّ عليك إعادة لملمة نفسك حتى تستمرّ هنا».

كان فيصل مشهوراً بأنه الأكثر صراحة، وأفضل من شرح المكتوم. وكان يزعج البعض بصراحته حيال ما يجب أن يُكتب وما لا يجب أن يُكتب. لكنه كان يلتزم بما يريده «الأستاذ»، وسرعان ما صار فيصل يطلب مني الصعود إلى الطبقة السادسة «لحضور الصالون السياسي لرئيس التحرير». لكنه عاجلني بتوصية حادّة: «كن مستمعاً واجمع الأخبار، وبلا تحليلات الله يخليك».

العلاقة بـ«السفير» لا يمكن أن تستقيم لأحد من دون نيل ثقة الأستاذ طلال. ليس لكونه رئيس التحرير أو صاحب العمل، بل أساساً وقبل أي شيء، لأنه صحافي لا يمكن لك أن تحتال عليه، يستطيع أن يعرف مصدرك ولو جرّبت التكتّم طويلاً. ويعرف إن كانت جهة أو مسؤول يحاول جرّك إلى وجهة من دون أن تعرف أنت بالتحديد ما يجري، وكان لطيفاً في قول ملاحظاته على ما تكتب وكيف تكتب، كما كان حازماً في جعلك أمام الاختبار اليومي في التطور المهني. هو لا يقفل الباب أمام أحد. ولا أعرف أحداً مرّ على «السفير» وادعى أنه تعرّض للتهميش لسبب شخصي أو سياسي أو خلافه. كانت الجريدة متاحة كمركز تدريب، حتى الفصل بين الأقسام. لم يكن يمنع أحداً من متابعة قضايا خارج اختصاصه المباشر. وهو ما سمح لي سريعاً بأن تكون لي مساهمات على شكل أصابه الإحباط وقرّر المغادرة.

في تلك الفترة، أعيد إحياء نقاش حصل عام 1998 عند وصول العماد اميل لحود إلى رئاسة الجمهورية. يومها فكّر جوزيف وزملاء من مؤسسات أخرى، بالحاجة إلى مؤسسة صحافية جديدة، تستهدف مهنياً حجز المكان في مواجهة الإعلام التلفزيوني، وتمثل خطاً ثالثاً بين الفريق الذي يقوده رفيق الحريري والفريق الذي يقوده اميل لحود. ويكون له بالتالي، مسافة من الإدارة السورية للوضع في لبنان.

لكنّ أحداثاً كثيرة عدّلت في نظرة جوزيف إلى الأوضاع، من تحرير عام 2000 إلى الحرب على العراق عام 2003 وصولاً إلى اغتيال الحريري. اختلفت الصورة عنده تماماً. كتب سماحة يومها عبارته الشهيرة: «ما يجري إنما يستهدف نقل لبنان من ضفة إلى ضفة». وكان الأمر بمثابة نقطة الانطلاق الجدية في بحث سُرعان ما أثمر توفير متطلّبات إصدار جريدة جديدة. كان ذلك في نهاية صيف عام 2005. جمعت نفسي وصعدت إلى الطبقة السادسة، واخترت وقتاً يكون فيه مكتب رئيس التحرير من دون ضيوف. قال لي: خير؟ قلت له سريعاً: جئت أشكرك وأقدّم استقالتي؟ ابتسم وعدل في جلسته ليرتّب يده تحت ذقنه كما كان يحبّ أن يفعل. أخذ نفساً عميقاً من سيجارته وقال: ما السبب. هل هناك مشكلة مع أحد في الجريدة؟ قلت له: لا أبداً. فواصل كلامه: طيب شو القصة؟ كنت دربّت نفسي جيداً وفكرت لكن، كنت أعرف أنه يعرفني فظاً ومباشراً، فقلت من دون مواربة: أريد إصدار جريدة؟ ابتسم، وعدل قليلاً في جلسته وقال لي: تعرف، لقد سمعت مئات الأسباب من زملاء قرروا الاستقالة، وكنت أسعى إلى معالجة الأسباب، وكان هناك من يبتزّني بأنّ لديه عروضاً من هنا، أو رواتب أفضل أو خلافه... لكن صراحة، لم يخطر ببالي أن يدور برأس أحد حيلة كهذه؟

لم يكن هناك من مجال لمزيد من المزاح في الأمر. قلت له بعض ما كان يُفترض بي قوله، خصوصاً أنّ جوزيف كان قرّر عدم الاستقالة في الوقت نفسه، وأنه سيؤخرها حتى مطلع العام الجديد. فطلب مني الأستاذ طلال الذهاب إلى مكتبي «نحكي لاحقاً».

خرجت وتوجهت مباشرة إلى مكتب المدير العام ياسر نعمة، الملاصق لمكتب رئيس التحرير، وقلت له إنني أريد تقديم استقالتي رسمياً وشرحت نفس الحكاية. وتعامل المدير العام بجدية أكبر، واستجوبني قبل أن يذهب هو إلى مكتب رئيس التحرير ويقول له: الأمر جدي!

حصل الكثير من الأخذ والرد، ونقاشات وعروض في الفترة التي بقيت فيها في الجريدة قبل المغادرة النهائية مطلع عام 2006. لكنني كنت أشعر بأنّ الأمر صعب وثقيل جداً، وكنت أتجنّب الحديث مع أحد عن الموضوع. وهو كان يرمقني بنظرات غضب كلما مرّت الأيام، وشعر بأنّ الأمر جدي. لكن، منذ اليوم الأخير لعملي في «السفير» حتى يومنا هذا، لم أسمع لا مباشرة ولا نُقل إليّ أي كلام سلبي عن لسان «الأستاذ طلال»، برغم أنّني أعرف عن الآثار السلبية لخطوة إصدار «الأخبار» على «السفير»، وعن غضبه الذي زاد بعد استقالة جوزيف وانضمام زملاء لنا خلال أشهر قليلة. لكنني أعترف، أنني ذات يوم، قصدته حاملاً ملاحظات حول واقع «السفير» كما كانت عليه في آخر عامين لها قبل الإقفال، وقلت له: أنت تقول بأنّ «الأخبار» هي بنت «السفير»، وأنا هنا لأقول لك إن البنت قلقة على أمها، لكن خلال دقائق، شعرت بأنني أمارس ما هو ليس حقاً لي، وأنني أقدّم نفسي من موقع لا يحق لي أن ادّعيه تجاه شخص مثل طلال سلمان. ومن يومها، التزمت الصمت حتى يوم إقفال «السفير». كتبت غاضباً لأنني إلى اليوم، لا أبرّر له هذه الخطوة، ولأنني إلى اليوم، أشعر بأن أحد عناصر قوة «الأخبار» كانت ناجمة عن التحدي اليومي في وجود جريدة مثل «السفير».

لم يهرب طلال سلمان يوماً من مواجهة التحديات. له طرقه في المقاربة والتحليل والتواصل، لكنه يمثل مخزوناً كبيراً، أرى نفسي استخدمه في كثير من الأيام بين زملائي في «الأخبار» ومع سياسيين كان يعرف هو كيف يتعامل معهم، وكل القساوة التي قامت بفعل صدور «الأخبار» ليس لها معنى من دون الإقرار صراحةً وبداهة، بأن «الأخبار» لم تكن لتولد، لولا وجود «السفير»، وما كانت لتولد لولا أنّ لها أباً وأماً هو طلال سلمان!

> اغتيال الحريري عام 2005 تطلّب أخذ موقف من الانقسام الحاصل

أخبار أو تقارير أو مقابلات تتناول ملفات خارج القسم السياسي الذي عملت فيه طيلة عملي في «السفير».

وكان «الأستاذ طلال» يعرف حاجة الصحافيين الأساسيين إلى الإحاطة بجوانب أخرى من المشهد السياسي والاقتصادي والديبلوماسي. لذلك كان يطلب مني مرافقته (كما آخرين من الزملاء) إلى اجتماعات مع رجال أعمال وخبراء ماليين ومسؤولين أمنيين وديبلوماسيين، كما سافرت معه مراراً إلى دمشق والقاهرة. وربما هو أكثر من أتاح لي الفرصة للسفر إلى بلدان كثيرة بمهام صحافية أو حتى للراحة أيضاً! ما قدّمته لي «السفير» كان هائلاً. وما قدّمه لي الأستاذ طلال شخصياً كان هائلاً أيضاً. ولذلك لم يكن يخطر في بالي لحظة أن أترك «السفير». حتى المشكلات المهنية أو الوظيفية وبعض المحطات السياسية لم تكن لتُقفل الباب أمام حوار ينتهي إلى معاودة الاندفاعة في العمل، إلى أن جاء زلزال اغتيال رفيق الحريري عام 2005. في تلك الفترة، كانت اللحظة السياسية شديدة التطلّب لأخذ موقف من الانقسام الحاصل. لم يكن «الأستاذ» في وارد أخذ جانب يضرب موقع الجريدة الحاضر في كل الأوساط اللبنانية، والذي نجح في اختراق جمهور وساحات أقفلت في زمن الحرب الأهلية.

سبق حدث عام 2005، نقاش مهني استمر لأكثر من عشر سنوات، حاول خلاله الراحل جوزيف سماحة تسيير مقترحاته لتطوير الجريدة، من دورة العمل إلى التبويب الجديد وصولاً إلى الماكيت وتوزيع الصفحات، وإدخال أبواب إضافية واعتماد برنامج مختلف للمراسلين والكتّاب من خارج ملاك الجريدة. وكان «الأستاذ» يقف إلى جانبه، خصوصاً في فترة ضخ دماء جديدة من خلال قسم جديد باسم «شباب السفير». لكن التغييرات الحقيقية لم تكن لتحصل، لأسباب كثيرة، ربما كان بعضها يعود إلى خشية رئيس التحرير من انعكاسها مشكلات داخل الفريق القيادي للجريدة. لكن النتيجة كانت في أنّ جوزيف

طلال سلمان: حياتي لم تكن كذبة

يحلو لـ«الاستاذ طلال»، كما يناديه الجميع، حتى أولاده أحياناً، أن يتذكّر بداياته. لا يخفي شيئاً عن حياة الفقر التي عاشها، ويشيد بـ«جانب عظيم» لخلفيّته الريفية في صناعة شخصيته. يحكي من خلف مكتبه رئيساً لتحرير واحدة من أبرز الصحف العربية، ولا ينتظر وقع كلامه على محدّثه. ما يعنيه هو هذا الشعور بالاعتزاز بما حقّقه. شعور راه في عينَيْ والده، الدركي، عندما كان يحمل «السفير» بين يديه مبدياً سروره. «كان يعني لي كثيرات ارى نظرة اعتزاز ابي بي. كما اعتزاز اهالي بلدتي المنتمية إلى منطقة فقيرة ومحرومة. انا ابن الدركي من شمسطار، لكني اسّست جريدة في بيروت. يقراها الجميع في الوطن العربي»

مهى زراقط

رحلة طلال سلمان غنية. يشعر المستمع إليها بأنها تحتاج إلى أكثر من حياة، كي تتّسع لهذا الكمّ من الأحداث والشخصيات التي عايشها. رحلة تغيّرت فيها دول ورجالات، وعبرت أزمنة، وبقي الثابت فيها فلسطين. ولأنها بهذا الغنى، يصعب إيجازها في مقالة - تحية إلى الصحافي الذي اعتقد عام 1974 أنه يطلق جريدة ناجحة، ليجدها بعد 43 عاماً مدرسة يحنّ إليها تلامذتها كما أساتذتها. ولأنه صحافي أولاً وأخراً، سنقتصر هذه المقالة على سرد جزء من رحلة طلال سلمان الصحافية التي لم يبخل في سرد تفاصيلها. ورغم أن الجلسة الأولى معه طغت عليها الأسئلة الاتهامية، كان مستعداً للاعتراف قبل طرح أي سؤال عليه. كان ذلك في أيلول (سبتمبر) 2016، بعد ستة أشهر على عودته عن قرار إقفال «السفير» الذي طُرح أول مرة في آذار (مارس) من العام نفسه. ورقة الاعترافات سلّمها لنا عن طيب خاطر، لكنها لم تتضمّن ما كنا نريده للاستمرار في كيل الاتهامات. قال بحزن واضح: «لست أنا المقصّر في المهنة، لكن المهنة التي اتقن القيام بها بدأت تنقرض». لا يتعلق الأمر بالتطوّرات التقنية فحسب. يذهب إلى المفاهيم والأفكار والمبادئ التي كبر عليها، وحاول أن يوصلها للناس، وباتت اليوم مجافية للعصر «بينما كنت أعتقد أنها هي القادرة على أن تفتح باب العصر». هذا ما جعله يعلن استسلامه: «لا يمكنني أن أقاوم اغتراب المجتمع عن ذاته. يصعب عليّ أن أقرّ بأن هذا الواقع القائم الآن هو الحقيقة الباقية والخالدة إلى الأبد. أن أعترف بذلك يعني أن حياتي كانت كذبة، وأنا أعرف أنها ليست كذلك لأنني عشتها».

البكالوريا ليست مهنة

درس طلال سلمان في مدرسة رشميا الرسمية حتى الصف الرابع ابتدائي، وكان مميزاً في كتابة مواضيع الإنشاء حتى إنّ أستاذه عمد مرة إلى تعليق مواضيعه على أبواب الدكاكين في القرية ما جعل والده فخوراً به. لكي ينهي المرحلة الابتدائية، انتقل إلى بيت جده في شمسطار. أما نهاية المرحلة المتوسطة فكانت في المختارة، حيث درس على يد «الأستاذ فوزي عابد»، الذي رسم له يوماً دائرة حمراء على أحد مواضيع الإنشاء التي قدّمها له، وكتب فيها «إذا ثابرت فستكون صحافياً كبيراً أو محامياً قديراً».

لعبت الصدفة دورها في إدخاله إلى المدرسة العاملية حيث تعرّف إلى صلاح ستيتية. وبعدما انهى صف البكالوريا قسم أول، كان والده قد انتقل إلى المتين. في أواخر فصل الصيف، دعاه والده إلى «كزدورة»، قال له: «لقد أوصلتك إلى هنا وهذه قدرتي، لا يزال أمامي ستة غيرك. هذه أربعون ليرة كلّ ما يمكنني أن أقدّمه لك، والباقي عليك. فليوفّقك الله في ما تختار القيام به».

الخبرة المهنية قبل «السفير»

أوصله أحد أصدقائه إلى لقاء مصطفى المقدّم، صاحب جريدة «النضال»، التي كانت تصدر عند الظهر. بعد سؤال وجواب، أمسك المقدّم بمقص، وقال لسلمان: هل تعرف ما هذا؟ أجابه: هذا مقص. قال له: هذا رئيس التحرير، ويجب أن تعرف كيف تستخدمه. أي كيف يختار مواضيع وأخباراً من جرائد ثانية، يقصّها ويلصقها. لم يطل وجود سلمان في «جريدة النضال العظيمة»، فقد زاره والده يوماً وخرج لملاقاته والتحدّث معه، وكانت النتيجة أن حرمه المقدّم من الراتب.

مجدداً، عرّفه صديقه بتاجر خُضَر، قدّمه إلى صاحب جريدة «الشرق» خيري الكعكي، حيث عمل ثلاثة أشهر مجاناً، تقاضى بعدها الراتب الأول، وقيمته 10 ليرات أسبوعياً، ثم ارتفع ليصبح 100 ليرة شهرياً. كان ذلك عام 1957 الذي شهد انقساماً سياسياً وتحرّكات واسعة لمعارضي الرئيس كميل شمعون ورئيس الحكومة سامي الصلح. وخلال مهرجان للمعارضة أقيم في منطقة «أرض جلّول»، وقعت اشتباكات وسقط عدد من الضحايا، من بينهم سيدة كانت تعمل في منزل صاحب مجلة «الحوادث» سليم اللوزي. تحوّل الأخير إلى المعارضة الشرسة لشمعون، فكان نصيبه كما غيره من المعارضين السجن، حيث تعرّف إلى الرقيب أول ابراهيم سلمان، والد طلال سلمان. وفي أحد الأيام، بينما كان سلمان يزور والده، بادره الأخير بالقول: «بين ضيوفي هنا صحافي كبير ونحن نمضي ساعات كل يوم معاً. تعال اعرّفك إلى سليم اللوزي». وقد قدّمه والده إلى اللوزي قائلاً: «إنه يحاول أن يكون صحافياً!». في الزيارة الثانية، سمع وعداً من اللوزي للوالد «مكان ابنك معي في «الحوادث»». وبالفعل، بعد الإفراج عنه، اتصل اللوزي بسلمان وعرض عليه الانضمام إلى أسرة «الحوادث». يصف سلمان الانتقال إلى «الحوادث» بـ«النقلة الكبيرة». بدأ عمله في المطبعة، مشرفاً على الإخراج والتنفيذ والتصحيح، وتعلّم صفّ الأحرف وتركيب الصفحات، ثم بات يصحّح، وبعدَ صفحة بريد القراء، كما ابتكر زاوية شخصية له سمّاها «شطحة». وفي هذه المرحلة، زار الشام برفقة اللوزي، حيث التقطت له صورته الشهيرة مع جمال عبد الناصر الذي سأله بعدما عرّف عن نفسه «إزّاي شطحاتك؟».

في أواخر 1959، طالب هو وزميله شفيق الحوت بزيادة على الراتب، وكان الصحافي الراحل رياض طه قد عرض عليهما أن يعملا معه في مجلة «الأحد». لبى اللوزي طلب الحوت فقط «فوجدت نفسي محرجاً، لذا وافقت على عرض طه وانتقلت إلى الأحد». تولى هناك منصب مدير تحرير «وصرت المسؤول الأول عن المجلة تقريباً، لأن رياض طه كان منهمكاً في العمل السياسي». في 1961، ألقى الأمن العام القبض على طلال سلمان بسبب علاقة الصداقة التي ربطته بمندوب الثورة الجزائرية في بيروت أحمد الصغير جابر، الذي وُجّهت إليه اتهامات بالتجسّس، وسجن نحو 50 يوماً قبل أن يصدر الحكم ببراءته. خلال هذه الفترة، كان طه قد زال اسم سلمان عن الجريدة. مع ذلك، عاد إلى العمل فيها في انتظار فرصة عمل أخرى.

بعد نحو عام من إطلاق سراحه، تلقى سلمان اتصالاً من أحد زملائه يخبره أن شخصية كويتية في لبنان تبحث عن صحافي يتسلّم مشروع إصدار مجلة في الكويت، وأن هناك من طرح اسمه. تعرّف سلمان إلى عبد العزيز المساعيد، الذي عرض عليه العمل في الكويت فوافق سريعاً. سافر سلمان إلى الكويت، وكان في الرابعة والعشرين، وأشرف على إصدار مجلة من الألف إلى الياء. لكن، مع تخصيص عدد شهر أيار (مايو) من المجلة للاحتفال بعيد العمّال، نقلت إلى سلمان ملاحظات عن «انتمائه الشيوعي»، ما أشعره بأنه لم يعد مرحباً به. زار لبنان في عطلة عيد الأضحى، وعندما التحق مجدداً بعمله، كان اسمه قد نُزع عن المجلة، فاتخذ قرار العودة في حزيران 1963. اكتفى لبعض الوقت بالكتابة في جريدة «المحرّر» التي كان يصدرها صديقه هشام أبو ظهر، إلى أن رنّ هاتف البيت مرة وقال له المتصل: «أنا سعيد فريحة، أودّ أن نلتقي ونحكي».

يرجّح سلمان أن يكون أحد الزملاء قد رشّح اسمه أمام فريحة. ذهب للقائه، وبادره فريحة «أريدك مديراً لتحرير مجلة «الصيّاد»». كان العرض ممتازاً «أولاً لأنني لا أعمل، وثانياً لأن الصيّاد» سمعتها جيدة، وثالثاً لأن سعيد فريحة كان ناصرياً حتى العظم». كان العمل منهكاً بعدما ألقيت كلّ الأعباء عليه. وبينما هو في «الصيّاد»، عرض عليه غسان كنفاني أن يعمل في مجلة «الحرية» التابعة لحركة القوميين العرب. قال له غسان: «يريدون خبيراً أجنبياً يفهم في الشؤون اللبنانية». وهكذا صار سلمان «الخبير اللبناني عند القوميين العرب في مجلة الحرية».

في 1967 تزوّج، وكان لا يزال يعمل في «الحرية»، وعرض عليه العمل في جريدة تصدر قرابة العاشرة صباحاً اسمها «اليوم» لصاحبها عفيف الطيبي «الدوام الصعب، وعدم انتشار الجريدة دفعاني إلى الاستقالة سريعاً». في 1968، تسلّم جان عبيد مسؤولية «الصياد»، وأرسل في طلب سلمان. كان يعرف ماذا يريد من مهنته هذه المرة، اشترط العمل مراسلاً عربياً، وأن لا تكون له أي علاقة بإدارة التحرير. تمت الموافقة لتبدأ «المرحلة الذهبية في حياتي المهنية».

> أنا ابن الدركي من شمسطار اسّست جريدة في بيروت يقراها الوطن العربي

ولادة «السفير»

خلال عمله مراسلاً عربياً، تعرّف طلال سلمان إلى الزعيم الليبي الصاعد معمر القذافي. وفي منتصف 1973، قدم إلى لبنان شخص ليبي اسمه مصطفى بزامة وطلب مقابلة طلال سلمان «أخبرني عن رغبة ليبية في إنشاء جريدة ومجلة ومركز دراسات وأن هناك توصية من القذافي بلقائي أولاً». عقدا جلسات متعدّدة، وتمّ الاتفاق على أن يقدّم لي المال الذي أحتاج إليه لإنشاء جريدة في صيغة قرض». بعدها، بدأ رحلة التأسيس لجريدته من مصر «زرت محمد حسنين هيكل وأحمد بهاء الدين ومجموعة من الكتّاب والفنانين والرسامين أصدقائي، وأخبرتهم عن المشروع وأبدوا استعداداً للمساعدة في حال احتجت إليها». المرحلة الثانية كانت البحث عن امتياز، واستغرقت وقتاً قبل الاستقرار على «السفير» بتشجيع من هيكل. وفي نهايات 1973 استأجر مكتباً صغيراً في سنتر فرح في الحمرا وبدأت الاتصالات لتوظيف فريق العمل.

ان أوان إعداد الماكيت والشعار، وقد توصّل الفريق سريعاً إلى اختيار شعارَيْ «صوت الذين لا صوت لهم»، و«جريدة لبنان في الوطن العربي وجريدة الوطن العربي في لبنان»، لكن بقي «اللوغو». كان سلمان يتواصل دورياً مع أصدقائه في مصر. لكن مع اقتراب موعد الصدور «وصل حلمي التوني فجأة وهو يحمل شعار «السفير» على شكل حمامة، لونها برتقالي. الحمام هو حامل الرسائل، والبرتقال يعني الشام ووفلسطين، كانت فرحتي كبيرة جداً لأنه رفع عن كاهلي همّ الواجهة الأساسية التي ستعبّر عن روح الجريدة».

منذ اليوم الأول فرضت «السفير» نفسها، ووقفت مباشرة بعد «النهار» الجريدة الأعرق في لبنان، متخطية كل صحف البلد في التوزيع. وبعد عشرة أيام، تلقى سلمان اتصالاً من غسان تويني. قال له مباشرة، ومن دون أن يهنّئه بصدور الجريدة «فينا نتغدى سوا؟»، فأجابه «منتغدى سوا». كانت «السفير» قد حدّدت ثمناً للمبيع قيمته ربع ليرة، كما بقية الجرائد، في حين كانت «النهار» قد رفعت سعرها مطلع شهر آذار إلى نصف ليرة. ساله تويني: بتقديرك، لمَ نجحت السفير؟ فأجابه سلمان: «أنت أستاذنا، وتعرف أكثر مني». قال له تويني: «الربع ليرة». أجابه: «من الممكن أن يكون هناك تأثير للربع، لكن كل الجرائد سعرها ربع». كرّر تويني كلامه، إلى أن قال له سلمان: «طيب تهذيباً ساقبلها منك، لكنك تعرف وأنا أعرف أنك تعرف أنه ليس السبب، وأن هناك عملاً متقناً». بالنسبة إلى سلمان، كان هذا اللقاء اعترافاً من تويني بنجاحه.

■■■

على مدى 43 عاماً، تجاوزت «السفير» وظيفتها كجريدة تنقل الأخبار، مشكلةً وعي مئات الآلاف من قرّائها ومحبيها. وكما كان لها مريدون، لم يخلُ الأمر من عداوات بلغت حدّ محاولة القتل. يقول الرجل الذي تعرّض لمحاولة اغتيال، وتعرّضت جريدته والمطبعة للتدمير والاستهداف، كما إلى التعطيل «لا أعتقد أن هناك جريدة تلقّت تحيات، سواء كانت ودية، أو على شكل قذائف وقنابل ورصاص بقدر ما تلقّته «السفير»». لم يكن قرار الإقفال سهلاً على طلال سلمان. صحيح أنه لم يندم عليه منذ خمس سنوات إلى اليوم، إلا أنّه احتاج إلى وقت لتقبّله. في الأيام الأخيرة من حياة «السفير»، كان يتأخر فيها حتى ساعات متقدمة من الليل، رغم إنجاز العمل. بعد إقفالها، استمرّ في الحضور إلى مكتبه في المبنى الذي لا يزال يحتضن شعاراً يرى كثيرون أنه بات ينتمي إلى زمن مضى «جريدة لبنان في الوطن العربي، وجريدة الوطن العربي في لبنان».

تحية

ابن الأحلام الكبرى والهزائم الفادحة

عبدالله السناوي *

على وقع نكبة فلسطين (1948)، اكتسب وعيه العروبي وهو في العاشرة من عمره.

بعين الصبي تابع بقدر ما استوعب محنة النزوح والتهجير القسري لآلاف الفلسطينيين من ديارهم إلى لبنان المجاور، استقر في خاطره سؤال الشاعر الكبير محمود درويش: «لماذا تركت الحصان وحيداً؟».

هما ابنا جيل واحد، متقاربان في السن، أولهما فلسطيني، وقد حمل بموهبة الشعر قضية بلاده طوال حياته، شأن شعراء فلسطينيين آخرين ألهموا فكرة المقاومة.

والثاني لبناني، حمل القضية نفسها بموهبة الصحافة إلى آخر الشوط من دون مساومة عليها، شأن صحافيين لبنانيين وعرب آخرين، ساعدوا في بناء وعي عام بأن القضية عربية بقدر ما هي فلسطينية.

هو رجل وجد في العروبة خلاص بلده، الذي انتزع من وطنه الأم سوريا باتفاقية «سايكس بيكو» وتأسّس على طائفية أنهكت حيويته رغم التضحيات التي بذلت.

هو رجل عنده قضية، عروبته معياره وفلسطين بوصلته. من يتحالف عليها فهو ضده.

هو ابن الأحلام الكبرى والهزائم الفادحة في العالم العربي منذ النكبة حتى الآن، لكنه لم يفقد حلمه أبداً ولا استسلم لهزيمة يوماً.

«بيروت تحترق ولا ترفع الأعلام البيضاء».

بدا ذلك الماشيت، الذي تصدر صحيفة «السفير» أثناء الاجتياح الإسرائيلي (1982) تلخيصاً رمزياً لحياته المهنية، معناها ورسالتها، في لحظة تقرير مصائر.

لم يغلق أبواب صحيفته، كما فعلت الصحف والمطبوعات الأخرى، ظل يصدرها تحت الحصار والقصف، داعياً إلى المقاومة حتى النفس الأخير... والحبر الأخير من دون رفع راية واحدة بيضاء. كاد أن يدفع عمره ثمناً لمواقفه حين جرت محاولة لاغتياله عام 1984 أمام منزله، تركت ندوباً وآثاراً على جسده.

تجربته المهنية فريدة من نوعها، صعد من أسفل السلم مصححاً ومراجعاً حتى اكتسب اسمه الكبير.

هو نموذج استثنائي للشغف بمهنة الصحافة، أعطاها وقته كله، اتسعت علاقاته في العالم العربي، وأصبحت صحيفة «السفير» التي أسسها عام 1974 عنواناً عربياً للبنان في لحظة تحولات جوهرية في حسابات ومعادلات الإقليم أعقبت حرب أكتوبر وبدء ما أطلق عليه «العصر الأميركي».

> **كاد أن يدفع عمره ثمناً لمواقفه حين جرت محاولة لاغتياله عام 1984 أمام منزله**

لخّص شعار «السفير»: «جريدة لبنان في الوطن العربي وجريدة الوطن العربي في لبنان» جوهر رسالته.

حين بدأت رياح الانعزالية تعصف بالعالم العربي، لم يتخل عن أفكاره وتوجّهاته وعروبته وبوصلته الفلسطينية.

بفضل «سفير طلال سلمان»، رفعت الصحافة اللبنانية رأسها في عالمها العربي مهنياً وسياسياً.

قدمت أفضل الصحافيين والكتاب السياسيين إلى العالم العربي.

العمل في «السفير» شهادة جودة مؤكدة. كان يكفي الانتساب إليها حتى تفتح الأبواب المغلقة للمشاركة في أي إصدارات جديدة طوال سنوات السبعينيات وما بعدها في الخليج أو أوروبا.

لم يكتسب صيته بضربة حظ، صنع اسمه بأظافره وبدأب شديد في صالات تحرير الصحف والمجلات التي عمل فيها.

لا يُذكر لبنان إلا وتذكر «السفير» مكوّناً جوهرياً في قوته الناعمة. كان عددها الأخير ماتماً حقيقياً لكل من عرف قيمتها وألمّ بأدوارها.

تجربته استوفت زمنها وتحتاج الآن إلى إعادة فحص ودرس حتى تستبين الأجيال الجديدة فضل الآباء الكبار للصحافة العربية.

لم يكن رجل سياسة بالمعنى الحزبي، ولا عضواً نشطاً في أي جماعة سياسية، لكنه لم يكن يتردد في أن يعرب عن مواقفه وانتقاداته مهما جرت عليه من حملات تشهير اعتادها.

في السنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين، نعى إلى القراء على صفحات جريدة «العربي»، التي كنت أترأس تحريرها، ما وصلت إليه الصحافة الرسمية في مصر من تردٍّ وتراجع، ونعى معها الدور المصري نفسه، قائلاً بحسرة لا تخفى: «كانت القاهرة عاصمتنا المركزية».

القاهرة عشقه الأول، يعرف خرائطها السياسية كما حواريها وأزقتها.

كل شيء فيها ملهم، أدبها وفنها وصحافتها. هكذا كانت.

منذ بدايات ثورة يوليو، انحاز إلى جمال عبد الناصر. عندما اختلفت الأحوال، لم تتغير بوصلته وانتماءاته.

عند كل محطة مفصلية بدا حاضراً ومؤثراً، من الانفتاح الاقتصادي عام 1974، وصعود من أطلق عليهم «القطط السمان»، إلى انقلاب الاستراتيجيات على إثر «كامب ديفيد» عام 1978.

يكتب كأنه مصري، يعرف دخائلها وأسرارها، ويتبنى أحلامها المجهضة.

ارتبط بصداقة عميقة وممتدة مع الأستاذ محمد حسنين هيكل، يحاوره بانتظام ويزوره على فترات متقاربة في مكتبه على نيل الجيزة، أو في بيت «برقاش».

قبل رحيل هيكل بوقت قصير، زاره في قرية الرواد في الساحل الشمالي وأجرى معه حواراً مستفيضاً عما يحدث في مصر مستطلعاً مستقبلها.

من ناحية إنسانية، لفتتني في ذلك الحوار إشارته إلى أحوال هيكل الصحية على إثر حادث تعرض له بالسقوط من على درج. كتب أنه يستخدم «الووكرز» في تحركه في بيته الصيفي.

لا اعتقد أنه استأذن في النشر ولا هيكل فكر أن يلفت نظره. كان ذلك تعبيراً عن المساحة الخاصة التي تربطهما.

بقدر آخر، اقترب مؤسس «السفير» من النخب الصحافية والثقافية المصرية وعرف عن قرب كل ما يتحرك بالحيوية والإبداع في البلد.

ارتبط بصداقات مع كبار الصحافيين أمثال أحمد بهاء الدين وإحسان عبد القدوس وكامل زهيري ومحمد عودة ومحمود السعدني ومصطفى نبيل وجميل مطر.

ربما يكون قد تعلم من بهاء أن يولي عناية خاصة بالكاريكاتور السياسي، الذي كان سمة رئيسية في تجربة «صباح الخير».

استضافت صحيفته أسماء في حجم ناجي العلي الذي جسدت رسوماته مرارة سخرية الطفل الفلسطيني «حنظلة»، وأحمد حجازي وبهجت عثمان ومحيي الدين اللباد بخطوطهم الخاصة في عوالم الكاريكاتور. لم يكونوا مجرد رساميين، هم أصحاب مواقف ورسالات، كما «السفير» التي ارتبطوا برئيس تحريرها.

تعرفت إليه عن قرب في جلسات حوار في القاهرة تضم أصدقاء آخرين كلما حل ضيفاً عزيزاً عليها. في كل مرة، لديه ما يقوله عن كواليس وأسرار الحكم في العالم العربي، فهو صحافي عتيد موضوعه الأثير، البحث عن الخبر.

وصف ذات مرة تجربته مع الصحافة بعبارة مقتضبة، صادقة وصحيحة:

«الصحافة فيها من شرف الرسالة، كما من المتعة، ما يجعلها تستحق عمرك».

* كاتب ومحلّل سياسي مصري

خلال احتفال في نقابة الصحافة في مناسبة تحويل جريدة «السفير» الى شركة مساهمة عام 2011:
طلال سلمان يقف امام غلاف العدد الذي تلا محاولة الاغتيال عام 1984 (الصورة عن صفحة سلمان على فايسبوك)

طلال سلمان مع الرئيس جمال عبد الناصر عام 1958

مسيرة صاخبة حافلة بالتحدّيات

«أبو أحمد» كما عرفته

عبد الباري عطوان *

ربما كنت من الكتّاب الفلسطينيين والعرب القلائل الذين لم يعملوا ولم يكتبوا في صحيفة «السفير» التي أسّسها وترأس تحريرها الصديق الزميل طلال سلمان. مع ذلك، ربطتنا صداقة قوية لما يقرب من الثلاثين عاماً، كنت خلالها وطوالها، أعتبر نفسي من المنتمين سياسياً وفكرياً إلى هذا الصرح العملي المهني العملاق.

عندما أصدر طلال سلمان صحيفة «السفير» لتكون صوتاً للفقراء والعروبيّين والثوريين عام 1974، كسر احتكار «الصحافة العائلية»، ورجال الأعمال، وواجهات الدول في الصحافة العربية، ونقل الصحافة الثورية من الأيديولوجيات الصاخبة إلى الصحافة المهنية، والآراء المؤثرة الأقرب إلى الموضوعية، ولكن من دون أن تفقد نكهتها الجاذبة للقارئ. ومن خلال هذه «الخلطة» المتميزة، استطاعت صحيفة «السفير» تحت قيادته أن تحتل مكانتها في الصف الأول من الإعلام العربي، وفي فترة زمنية تجسّد طموحات قومية كبيرة في مواجهة المشروع الغربي الاستعماري.

فلسطين كانت الهم الأكبر، وربما الوحيد للأستاذ طلال سلمان، وكان يؤمن بتحرير كل فلسطين، ولهذا جعل من «السفير» الصحيفة الأولى لهذه القضية، من خلال احتضان نخبة من كتّابها ومثقفيها كانت موهبتهم أكبر وأعمق من صحافة الثورة الفلسطينية وفصائلها المتعددة. طلال سلمان لم يكن طائفياً، بل كان عابراً لكل الطوائف والأديان، قاوم كل الضغوط والمغريات لحرفه عن هذا الإيمان العميق المتجذّر، واستمرت هذه المقاومة حتى النفس الأخير في حياة صحيفة «السفير». اختار قرار الإغلاق المؤلم، على أن يلجأ إلى موائد اللئام، وكان قراراً شجاعاً من رجل لم يطأطئ رأسه مطلقاً.

لم أعش في بيروت في ذروة احتضانها للثورات واليسار العربي، ومرحلة اللجوء للثورة العربية عندما جرى إغلاق معظم الأبواب في وجهها، وأذكر أنّ مضيفة «طيران الشرق الأوسط» سألتني عن بلدي وأنا أتوجه إليها (بيروت) للمرة الأولى في بداية التسعينيات، فأجبتها: «فلسطيني لاجئ»، تغيرت ملامح وجهها وقتها، فطمأنتها مازحاً بالقول «ربما أنا الفلسطيني الوحيد الذي لم يحتل لبنان»، ولم تعجبها هذه المزحة أيضاً.

«أبو احمد» دعاني للحضور إلى بيروت لأكون إلى جانبه في المؤتمر الصحافي الذي كان سيعلن فيه عن «إغلاق السفير»، لكنني اعتذرت رغم إلحاحه، وتذرّعت بسبب عائلي، ولكن السبب الحقيقي أنّني لم أرد أن أكون شاهداً على إغلاق صفحة مهمة جداً من تاريخنا العربي والإعلامي، في وقت تنتصب فيه ناطحات سحاب امبراطورية التضليل والتزوير العربية، فـ«السفير» كانت بالنسبة إليّ وللكثيرين من أمثالي،

> **نقل الصحافة الثورية من الأيديولوجيات الصاخبة إلى الصحافة المهنية**

ملجأ وملاذاً وبوليصة تأمين لقيم العروبة والعدالة والشرف والكرامة.

لم أر الأستاذ طلال سلمان مبتسماً منذ إغلاق عشقه الأول «السفير».

وفي جميع لقاءاتي معه سواء في مكتبه الذي «كان» محجّاً للكتّاب والمفكرين والسياسيين، ومنتدى ثقافياً ليس له مثيل، أو في زوايا أحد الفنادق التي يحبها، الشيء الوحيد الذي كان يخفّف عنه حدّة اكتئابه وبكوره طوال الجلسات إنّه لم يتخلّ عن زملائه في الصحيفة، وحرص على إعطائهم حقوقهم كاملة من دون نقصان.

كثير من الزملاء الذين سيكتبون في هذا المكان، يعرفون «أبو أحمد» أكثر مني، بخاصة أولئك الذين رافقوه في رحلته الصاخبة والخطيرة، والحافلة بالتحديات المخاطر.

لكنّ «السفير» لم تكن صحيفتهم وحدهم، وإنما صحيفتنا أيضاً نحن المحبين الذين ينتمون إليها عاطفياً ومهنياً وسياسياً، وربما تكون نظرتنا ومعرفتنا لهذه الصحيفة، وصاحبها وطاقمها لا تقل أهمية، لأننا نرى الصورة ربما أكثر وضوحاً عن بعد.

الحياة بلا أعداء أو حاسدين، أو غيارى، ليست حياة طبيعية، والإنسان السوي هو الذي يكثر أعداؤه، لأنّ هذه الصفة هي أحد أبرز أدلّة النجاح، وقيم الصدق والوفاء للمبدأ والعقيدة، والبعد كلياً عن النفاق والانحناء عند أقدام اللئام، ولذلك لا يعيب الأستاذ طلال سلمان وجود بعض الكارهين المشككين، أو «عجائز النور» مثلما يسمّيهم عمّالنا وفلاحو أرضنا والفقراء المسحوقون، وما أجملهم.

ربما يكون الأستاذ طلال سلمان قد أبدى مرونة في بعض محطات مسيرته المهنية مثلما يكرر بعض الكارهين، ولكنه ربما فعل ذلك للحفاظ على السفينة واستمرارها في الإقلاع، وعدم غرقها في البحار عالية الأمواج، ولكنه خرج من جميع الامتحانات والمحن مرفوع الرأس من دون أن يتنازل عن قيمه.

اكتب عن المعلم والصديق طلال سلمان الذي كانت لقاءاتي معه هي الأمتع في زياراتي القليلة إلى بيروت التي أحبها، واعتزّ بتاريخها وفكرها وفنّها وإبداعها، ولم أزر بيروت من دون أن التقيه إلا مرة واحدة بسبب مرضه. أختم بالقول بأنّه ليس هناك قرار أصعب من أن تجبرك الظروف على ترك مشروعك الصحافي يحتضر أمامك ولا تستطيع إنقاذه لأسباب عديدة من أبرزها عزة النفس وعدم الرضوخ للضغط والمغريات «المسمومة»، وقد مررت شخصياً بهذه المحنة، ولهذا كنت أقدّر وأتعاطف مع الصديق طلال سلمان وأحاول بكل الطرق أن أخفّف من محنته.

ختاماً أقول: طلال سلمان لم يكن مدرسة، وإنما أكاديمية تعلم كثيرون في مدرجاتها، وتخرجوا منها بمؤهلات علمية وعملية ومهنية عالية وظفوها في إصدار صحف ووسائل إعلامية عالية المستوى، ولعل الزملاء في هذه الصحيفة (الأخبار)، بخاصة كبيرهم الذي علّمهم السحر الأستاذ إبراهيم الأمين أحد الأمثلة الناصعة على ما نقول.

* كاتب وناشر ورئيس تحرير صحيفة «رأي اليوم» العربية المستقلة

تحية

مع «الشحرورة» صباح عام 1994

مع اليمنية دوزيف «سماحة» وبلال الحسن وابو جهاد وطلال سلمان في 29 ايلول (سبتمبر) 1976

مع فيلمون وهبي عام 1984

شرف الغاية لا يُغني عن نبل الوسيلة

ضيف حمزة ضيف *

لم يكن طلال سلمان طارئاً على الصحافة، كما أنّ الصحافة لم تجنح به بعيداً عن نفسه بالشكل الذي تجعلهُ منفصلاً عن الصداقات والعلاقات. كانت ثمّة صلة يصعب تحديد شكلها النهائي أو البتّ في صورتها الأخيرة؛ تلك التي تجعل الصحافي يؤسّس لنوع من الفصل المحمود بين المهنة والحياة. هذا الشرح الاستثنائي يتيحُ لهُ أن يؤسّس لمدرسة خاصة به، تقوم على الموضوعيّة والتجرّد من دون التورّط في حيادٍ بارد وحياة تُعاش على نحوٍ لا يرى المرء فيها ضيراً في ما لو أقام صداقات ومعارف بينيّة، تستدرّ الخفيّ من الأخبار وتفضي بها إلى ظل مكشوفٍ وغبش مريء.

طلال سلمان حقيقٌ على ظاهر ملفتٍ للانتباه في الكتابة. خُلق لكي يُشرف على أقلام شتّى طابعها التباري ومساحتها التناقض. يُحسن كما لم يكن بوسع صحافي مسؤول على قيادة الآراء المتقاطعة على الاختلاف من دون عوز أخلاقي. وفي الآن ذاته؛ تسعفهُ الموهبة على التأليف بين خطوط من النار، تقف أطرافٌ على رأسها تكتبُ فقط لكي تتباهى بالاختلاف تحت العنوان الواحد أو تستأثر بشهوة الاحتراب السلمي في هدنة الزمالة. وفوق هذا، ثمّة ما يقيم به - في الوقت عينه - استقامة قلمه فوق مكتبه واصطفاف حروفه على أرض ورقته. ذلك أنّ الكتابة في عرفه، تفتتح عهد الرؤية مجدداً في أفقٍ تحبسه الخانات الضيقة وتحرّره الأذهان المحلّقة.

ليس في الوسع أن تجتمع هذه الصفات في إنسانٍ واحد، فيه مزيج غريب؛ من سياسيّ متعفّف عن خيانة مباحة للمهنة من أجل طموح مشروع، ومتذوّق أصيل للفنون والموسيقى، وقارئ نهمٍ للثقافات، ومفتون من طراز رفيع بالأدب الفرنسي بشكلٍ خاص.

عندما أصدر طلال سلمان صحيفة «السفير» في 26 آذار (مارس) 1974 كان يرغبُ في تحقيق معادلة صعبة/ سهلة: أن تكون عربياً في لبنان ولبنانياً في العالم العربي. وربما تبدو هذه اللطيفة للوهلة الأولى توليفة يمكن تبنّيها لمجرد الاعتقاد بنبل مقاصدها، بيد أنّ الإفصاح عنها في خطٍ تحريريّ قائم على الدفاع الأخلاقي على سلامة الغاية برغم تعذّر الوسيلة، ذلك أنّ المناخ القومي المتوفّر وقتذاك، لم يكن مثالياً بالشكل الذي تنعمُ فيه الصحافة الخاصة بالحريّة والاستقلال، حتى ولو كانت قوميّةً مثيلة الهدف. لقد كانت الملكيّة الخاصة زمنذاك، استثناءاً مفترضاً للتحرّر من الجماعيّة. إنّ صوت الذين لا صوت لهم كشعار افتتاحي يوحي للأنظمة التوتاليتاريّة باحتمال نشوء الخطر الفردي برغم ادّعائه تمثيل الجماعة، كما أنّه في المقلب المناوئ محلّ اتّهام جاهز للنخبة بالشعبويّة والتنازل عن قواعد المهنة وشروطها لصالح أقواس العامة المفتوحة في كل الاتجاهات.

> فكرة القوميّة من دون أيديولوجيا صارمة قامت عليها تجربته المهنية

لكن الزمان قضى بغير ما جرى في ذهن المُحبطين، فقد نجح الشعار وصارت الصحيفة وسارت، والتامّ الرهان تماماً على التجربة.

■■■

كانت فكرة القوميّة من دون أيديولوجيا صارمة؛ الفكرة التي قامت عليها تجربة طلال سلمان، فمنذ خريف عام 1962 تحت سماء الكويت عندما انضمّ إلى صحيفة «دنيا العروبة»، أصبح واضحاً جداً الخطّ الذي سينذرُ حياتهُ لأجله. وبرغم قصر التجربة تحت قلم الصحيفة الآنفة، إلا أنّ مسمّاها قد ساهمَ بصورة ملحوظة في بناء شخصيّته الصحافيّة وصقل معمارها الأخلاقي، بدليل أنّه لم يزد عن عقدٍ من الزمان حتى جاءت «السفير» كملخّص أكثر حرفيّة للهدف المنشود من دون أن تتقيّد بشروط التجارب السابقة وانتقالات رئيس تحريرها الكثيرة بين الصحف.

وحالما نضجَ المعنى تماماً في ذهن طلال سلمان، كانت افتتاحيّات «على الطريق» عناوين مطوّلة لمعانٍ شتّى، جمعها هدفٌ واحد وفرّقتها أساليب عدّة، جعلتهُ لقاء بقاء الطريق السالف بدون كمائن أو عوائق، يتحمّل بقاء انبساطه (الطريق) واتّصاله ضغوطاً عديدة بلغت حدّها الأقصى في محاولة اغتيال نجا منها فجر الرابع عشر من شهر تموز (يوليو) من عام 1984 عندما كانت بيروت أثقلّ من برميل بارود واحدٌ من إزميل باطون وأقسى من مساحة حفر... كاد سلمان أن يفقد حياته جرّاء هذا الاستهداف المريع الذي تركَ شظاياه في رأسه ونثر زراد الحديد الساخن في صدره فور وقوفه أمام بيته في رأس بيروت.

ومثلما دفع سلمان ثمن ما اختاره لنفسه، لم تذهب «السفير» بعيداً عن قدره، فقد فُجّرت مطابعها في خريف عام 1980.

وتمرّ سنون وأيام وتُغلق صحيفة «السفير»، ويبقى مكانها خالياً ومحلّها شاغراً، يذكرها الناس فيكبّرُوا لها احتراماً خاصاً، فضلاً عن سيلٍ غير منقطع من الذكريات... رافقَ توقّفها حديثٌ وجدانيّ مسهب حول حميميّة الورق ورائحة الحبر، كأنّ «السفير» قد بدأت حين وُلدت بغيمة ترقّب وانتهت حال احتجابها بموجة جدل....

* صحافي وكاتب جزائري

كانت جبهة قتال!

صلاح صلاح *

بداية أتمنى للصديق الرفيق العزيز أبو أحمد الشفاء العاجل وطول العمر. «هذا كل ما معي 40 ليرة خذها ودبّر رأسك». وصلت الكلمات صارخة إلى أذن الشاب ابن الثامنة عشرة من والده الشاويش إبراهيم سلمان، فقبل طلال التحدي رغم صعوبته، لأنّه اعتداه وهو ابن قرية شمسطار بعلبك التي تعيش تحدّياً دائماً مع الفقر والحرمان. عاش التحدي في كل قرية ومنطقة كانت تتنقّل إليها عائلته مع والده بحكم وظيفته ويرى فيها بؤس أبنائها ومعاناتهم. وعلى كل مواطن أن يتحدى الإقطاع والاستغلال وظلم الدولة حتى يستطيع الحصول على لقمة عيشه.

تابع الدراسة مع العمل في مجال الإعلام الذي فتح أمامه الباب واسعاً ليكون من أبرز العاملين في هذا المجال. اختبر تفاصيل المهنة كافة، مصحّحاً لغوياً، محرراً، مديراً رئيساً للتحرير.

الشاب الخجول المتواضع ابن القرية، يصبح خبيراً في شؤون السياسة والأدب والفن والثقافة. تستهويه الأغاني ويُطرب للموسيقى. تُفتح أمامه أبواب قصور الملوك والرؤساء، ويأنس لمجالسته المفكرون والفنانون والأدباء.

وجدتُه عن جدارة بأنه أكبر من أن يعمل موظفاً. لم تعد الصحف التي يعمل فيها، قادرة على استيعاب ما لديه من قدرات وكفاءات ومؤهلات، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ مسيرته الطويلة في الإعلام، بلورت قناعات وأفكاراً وروّى يريد أن يعبّر عنها بحرية وطريقته الخاصة.

يريد أن ينقل صوت الذين لا تنقل وسائل الإعلام صوتهم، «صوت الذين لا صوت لهم»، فقرر تأسيس جريدة السفير عام 1974. لم تكن «السفير» جريدة عادية بل جبهة قتال خاض من خلالها العديد من المعارك:

أولها: معركة العروبة في لبنان التي عبّر عنها في شعار «السفير»: صوت لبنان للعرب وصوت العرب في لبنان، فكانت لا تخلو اعدادها من كتّاب يدافعون عن عروبة لبنان، ويرفضون استخدامه تصدياً لأي نشاط إعلامي أو عمل عدواني ضد أي بلد عربي، بخاصة ضد سوريا. وفي هذا الصعيد، يبرز الدور المميز الذي لعبته «السفير» في فتح الأبعاد العدوانية للاجتياح الإسرائيلي عام 1982 واستنهاض الحالة الجماهيرية، والتصدّي بقوة لتبعات هذا الاجتياح بانتخاب بشير الجميل رئيساً للجمهورية اللبنانية، وبعده اتفاق 17 أيار، إضافة إلى تحذيره المبكر من مخاطر

> كنت الجأ إليك في الحروب الظالمة التي تعرّض لها الفلسطينيون في لبنان بعد 1982

خروج المقاومة من لبنان بالطريقة التي تمت بها والوجهة التي ذهبت إليها.

طلال العربي لا يثق بإمكانية تقدم وتطوّر للبنان الطائفي الانعزالي. لا مستقبل للبنان خارج محيطه العربي بدءاً من سوريا وإقامة أوثق العلاقات معها.

بقدر ما كان يشعر بالسعادة بالوحدة بين مصر وسوريا بقيادة الرمز القومي الزعيم بلا منازع لقيادة مرحلة النهوض العربي الرئيس جمال عبد الناصر، أصيب بخيبة أمل بل بفاجعة بعد الانفصال. بهذه الخلفية العربية، تعرّف طلال المنغمس في غمار الأحداث والتطورات السياسية إلى القضية الفلسطينية. ربما عمل لسنوات في فريق تحرير مجلة «الحرية» التي كانت تصدرها «حركة القوميين العرب» برئيس تحريرها محسن إبراهيم المتشابه بالفكر القومي والتي تركّز اهتمامها على فلسطين كقضية مركزية. وربما هذا ما لعب دوراً في التقاء قناعتهم على الصعيدين القومي والعربي والوطني الفلسطيني، خصوصاً أنّه التقى فيها مع زميلين أصبحا من أعزّ أصدقائه هما الشهيدان غسان كنفاني وناجي العلي؟، وقد أبى إلا أن يشاركهما الشهادة عندما جرت محاولة اغتياله أمام بيته لنفس أسباب اغتيال الشهيدين غسان وناجي!

المواقف الجريئة الصادقة. التمسك بالثوابت والإبداع في التعبير عنها، كل على طريقته فضح سياسات القوى المعادية وتعبئة الجماهير للتصدي لها.

كنت الجأ إليك عزيزي أبو أحمد في الحروب العبثية الظالمة التي تعرّض لها الفلسطينيون في لبنان بعد 1982 للمناقشة بألم وحرارة حول الهجمة الشرسة التي تتعرض لها منطقتنا العربية. وثباتنا على الخط القومي، يحدونا الأمل والثقة بحتمية الانتصار في النهاية.

* أحد مؤسسي «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين»

كاريكاتور للفنان الفلسطيني الشهيد ناجي العلي

راهب مثالي لقضايا مثالية

نصري الصايغ *

كانت البداية حلماً صعباً. وكان للطموح جاذبية. وكان للكلمة أمكنة، والأهم كانت المغامرة باسلة. في ذاكرتي أنّ «السفير» دخلت التاريخ في الزمن العربي الصعب. كانت الانهيارات متتالية. العروبة تُنحر بأيدي أبنائها. والأنظمة مصابة بالتسمّم والتكلّس. ولبنان على وشك أن ينفجر. لقد انفجر.

إنّ شعباً يأكل طعاماً جديداً بوعاء ذاكرته القديم، يتسمّم. كان الزمن العربي يتفتّت ويتراجع. وكان الزمن اللبناني يستعيد ماضيه لبناء حاضره. وكل ما لا يتقدّم، يتخثّر.

ذات صباح، أطلّت «السفير»، مَن هذا الذي تجرّأ على المستحيل؟ كان طلال سلمان مصاباً بالأمل. يرى الغد مدى، والإمكان ليس معجزة. هناك فسحة لقول آخر، للغة جديدة، لصحيفة، تولد قوية، وقوتها منه، ومن الأفق الذي كان يعوّل عليه. عرفتها من خلال مَن اجتمع فيها وانتمى، ومن انضمّ إليها من أقلام عربية، كانت يومذاك، تضع فلسطين أولاً... فهي «صوت الذين لا صوت لهم». ولكم كان الصوت قوياً وحاسماً وجديداً.

طلال سلمان لا يؤمن بذاته فقط. جمع واجتمع حوله، منذ البداية، أصحاب هوى جديد، وفكر أصيل، وحالمون متمردون، ومؤمنون بأنّ التغيير ممكن، فلبنان بحاجة إلى لغة تتجاوز الكيان، بحاجة إلى من يساهم في إعادتهم من صحراء التيه السياسي.

لا يمكنني أن أقرأ طلال سلمان، من دون أن أقرأ مسيرة «السفير». هو الركيزة. هو عمودها الثابت. هو الساحر حتى آخر الصباحات، من أجل جديد لا يتكدّس، بل من أجل جديد يتحقّق... ولكن الأزمنة العربية بما لديها من رصيد الأفشال، نفت المستقبل. وأعادت الزمن العربي واللبناني إلى خنادق وبنادق واقتتال. إنّ ذاكرتنا ليست ماء على رخام. إنها دم حفر جرحه في اللحم الحيّ.

في الذاكرة أسماء لكتّاب ومفكّرين وشعراء ومسرحيين وسياسيين ومناضلين وملتزمين ومتنوّعين... كانت «السفير» تحية صباحية، تحية عربية على امتداد الحلم العروبي. هكذا كان طلال سلمان. يريد «السفير» سفيرةً للقضايا والشعوب والآمال. وكان يمتهن التعب، حتى تعب التعب ولم يتعب... من كانوا معه وحوله تمتّعوا بحرية الالتزام. ما كانوا صوتاً واحداً. وهو كان يريد ذلك. صحيفة منفتحة باحترام، وملتزمة بصراحة. ولأنّ طلال سلمان، ابن عسكري، لم تتح له دوريات الجامعات واختصاصاتها، وجدناه مختصاً بالناس. السياسة لها حيزها، وللناس حيزهم المفتوح. كان منحازاً إلى الفقراء والفلاحين. يجالس الرؤساء والنواب والوزراء والمديرين والـ... «السكريتاريا السياسية والحالية». لكنه لا ينسى بفكر بفلسطين، فلسطين عنده هي الآية. ولقد تلا الآية مراراً حتى أصدر ملحقاً بعنوان فلسطين.

هل كان طلال سلمان مختلفاً جداً؟ طبعاً، كان مؤمناً بعروبة حتى الثمالة. وظلّ هكذا حتى آخر صفحة من الجريدة. فلسطينه تخدم بالكلمات كما تخدم بالطلقات وراهنا بالطعنات وغالباً بالقبضات... هاجسه فلسطين. وعروبته تتكئ على عملاق عربي، العسكري يتنقل من مخفر إلى آخر. معه عائلته. وطلال مفتح العينين على الجديد.

عرف منذ صغره أنّ لبنانه صغير متعدد وجميل. وعرف أنّه منقسم، ليس طائفياً فقط، بل انقسامه السرّي هو: الأغنياء والفقراء. وهو كان حميمياً مع هؤلاء. عقله يختزن وقلبه يتحسّس.

هو كتوم مقنع. ذلك أنّ اللبيب من الإشارة يفهم. لا يتباهى لكنه يعتزّ بما أنتجه. عندما يراجع يومياته، يتذكّر ويترحّم، على مَن كان معه في الحلبة، يحزن على الذين راحوا، يسامح الذين غادروا. كان يشعر بالغدر كلما غادر أحدهم من دون سبب وجيه.

أعرف الكثيرين من الذين يدمنون على قضية، أو مصلحة، أو... طلال سلمان كان مدمناً على الكتابة. مدمناً على المتابعة وعلى احترام المواعيد وعلى ضرورة اكتشاف الجديد. كتب الافتتاحيات وقلّما تخلّف عن ذلك. ساهم في الثقافة، بعدما سلّمها لخيرة الكتّاب والمسرحيين والشعراء والمدقّقين. كانت له زاوية ثقافية فيها. لا يتوقف عن إجراء الاتصالات الهاتفية المجدية. يطّلع، يريد أن يعرف. يريد أن يتابع، من دون أن يلغي مسؤولي الأقسام، السياسية والاقتصادية والاجتماعية. أما زياراته العربية، فكانت مميزة.

> عرف أنّ لبنانه منقسم، ليس طائفياً فقط، بل انقسامه السرّي هو: الأغنياء والفقراء

كيف كان طلال سلمان إبّان الحرب اللبنانية؟ هو مع القضية الفلسطينية، وبرغم أخطائها وانتهاكاتهم، لم يطعنهم، ولم يغفر لمن أخطأ في حقّهم بالنضال. كان دائماً معهم، وأحياناً على مضض. أما الأنظمة العربية، فكانت تريد من «السفير» أن تقبل بالإملاء. كانت تغضب. كانت تهدّد. فجّرت المطبعة، وضعت العبوات، حاولت اغتياله. حجرت عائلته... وبرغم ذلك، وبرغم الدخان والجراح، ظلّت «السفير» مثابرة على نهجها، من دون إثارة أعدائها.

منطقه كان واضحاً. لا مهادنة مع «إسرائيل»، إنّها عدو. نتعامل معها كعدو. لا مهادنة مع الطائفية. إنها عدو داخلي. إنّها مرض يفتك. هي أحد أسباب انهيار لبنان. لبنان الدولة وهم. من هم في سدّة المسؤولية، مسؤولون عن كل الخراب.

دائماً كان يتذكّر «وين كنّا ووين صرنا». كل ما يحلم به، انتهى إلى خراب. خراب داخلي. خراب عربي. خراب إعلامي. خراب سياسي.

رمل هذا المدى لا يقبض عليه. وكم من مرة رأيناه يتألّم. ادعوه للخروج. كان يقول لي إنّي أتأمل ولا أريد أن أتألّم. إرادته أقوى بكثير من الواقع الذي تسرّب إليه الفشل.

«سفير» طلال سلمان ما كانت لتكون من دونه. هو عصبها. أول من يدخلها، وآخر من يؤوب إلى نومه. راهب مثالي، لقضايا مثالية وبوسيلة إبداعية: الصحافة.

ماذا يُقال بعد في طلال سلمان؟ يُقال الكثير.

راهناً، نحن مصابون بالثرثرة، بتخمة الأقوال. الأفكار مرمية وداشرة ومطرودة. الأخبار، من كل واد طائفي، ترد إلى العلن الإعلامي. الأفكار والأخبار شيء، ووضعها على الورق شيء آخر. الشاشات تمحي فيها الصدقية. الورق يصدق مع الحبر، لأنّه مكتوب بحبر وليس على الهواء.

لطلال سلمان مكانة الريادة الصعبة، وجراة وضع النقطة الأخيرة لرحلة الأربع وأربعين عاماً من الصحافة. وأحبّ ما مرّ به طلال، إنّه بلغ الأقصى من الصعوبة: وهو عدم الكتابة.

طلال سلمان ماض لا يمضي.

المهم في تراثه الصحافي الكتابي أنّه باقٍ، باقٍ، باقٍ وهو، وجميع من كانوا معه، بلا استثناء. ونصيبنا بعد إقفال «السفير»، أنها حيّة.

أنهي هذه الكتابة بما قاله روبير سكاربيت: «لكلّ بلد وجهان. وجهه الأسطوري ووجهه الحقيقي». الصحافة هي وجهه الحقيقي. هكذا يجب أن تكون الصحافة. هل هذا ممكن؟ هل نشبه صحافتنا؟ أو هل صحافتنا تشبهنا؟ «بعد بكير» على الجواب.

الأكيد أنّ صحافتنا في خطر لأننا لم نعد نشكّل خطراً حقيقياً. هناك من يريد قتل ذاكرتنا. فلنستعدّ للغياب.

* كاتب لبناني

في احتفال لـ «مؤسسة غسان كنفاني» عام 2012

تحية

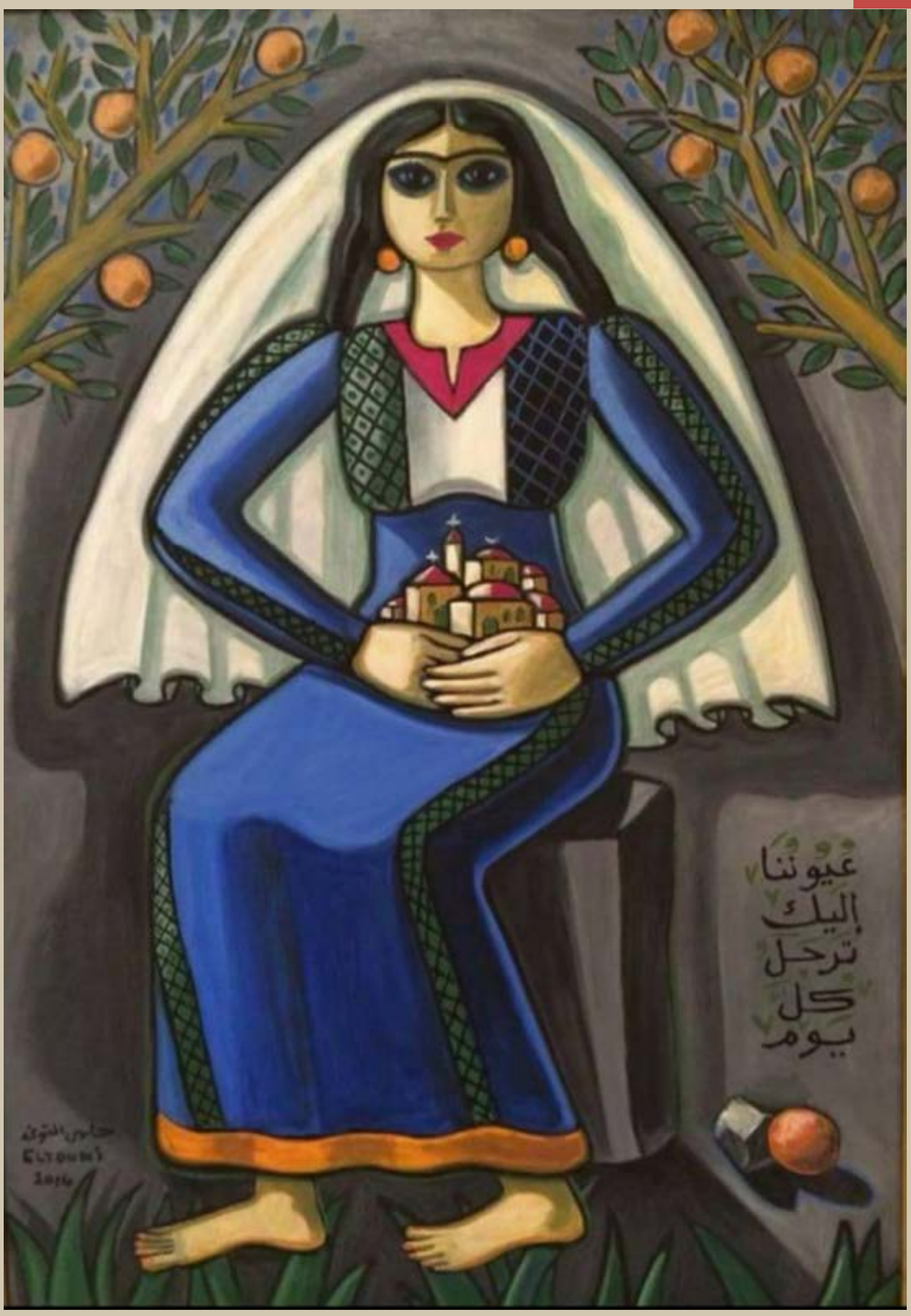

صحافي تحت الحصار

حلمي التوني *

صباح الثامن من نيسان (أبريل) عام 1970، أغارت طائرات «الفانتوم» الإسرائيلية على مدرسة «بحر البقر» الابتدائية المصرية، فقتلت 46 طفلاً وطفلة.

وفي صباح اليوم التالي، التاسع من نيسان، وصل الصحافي اللبناني الشاب إلى القاهرة، ليعزّي ويشارك المصريين أحزانهم ويقوم بواجبه الصحافي.

لم تكن تلك الزيارة الأولى لطلال إلى مصر، فقد عرفها منذ الخمسينيات مع مولد ثورة يوليو 1952 وأصبح أحد أبنائها. كنا نرى، نحن أصدقاءه المصريين، أنّ طلال يحب مصر أكثر منّا. حتى شكله وملامحه وسمرته كانت مصرية. ودارت الأيام كما تقول «الستّ» التي عشقها أخونا اللبناني كما كل العرب. دارت الأيام، وفي آذار (مارس) 1974، أصدر صاحبنا جريدة «السفير» اللبنانية وجعل شعاره «صوت الذين لا صوت لهم». وعلى الفور، تم فرض الحصار الاقتصادي على «السفير»، ولا سنتيمتر واحد من الإعلانات!

كافحت الجريدة «العروبية» وصارعت الموج الأزرق في عيني الرأسمالية اللبنانية العتيدة، إلى أن رفعت الراية البيضاء في كانون الأول (ديسمبر) 2016...

لم يكن الحصار القاتل جديداً على طلال، فقد عاشه وعاناه منذ مولده في بلدة صغيرة في البقاع اسمها «شمسطار» البلدة التي لا رأت الشمس، ولا طارت!

اللوحة المرفقة هي صورة شخصية للمواطن العربي/ الفلسطيني طلال الذي نتمنى له دوام الصحة والعافية.

* تشكيلي مصري

Samedi 17 Decembre 2022 no47
السبت 17 كانون الأول 2022 العدد 47

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

جار «المجرم»

[2-3]

(هنّ الوبر)

كتاب بحث وتحرّ عن الشرطة القضائية

4

من يحاسب قوى الأمن؟

5

زيادة الرسوم القضائيّة من دون قانون

6

السجناء أمام حائط مسدود؟

7

في العمق

كيف يتعامل المجتمع مع المشتبه فيهم أو السجناء السابقين؟

جار «المجرم»

اسئلة كثيرة يطرحها معظم السكان لدى قدوم جار جديد إلى المبنى او الحيّ الذي يسكنون فيه، لعلّ ابرزها: «من اي عيلة؟» او «من اي منطقة؟» او «شو بيشتغل؟». ووفق اسم عائلته او المنطقة التي اتى منها او حتى مسقط الوظيفي يكون التعامل معه. إمّا ترحيباً به او حذراً منه. عندها، ينتقل الجار من مرحلة التحقّق من أمره إلى مرحلة التنميط، بتصنيفه وفقاً للاعراف المتوارثة في المجتمع حول العائلات والمناطق والوظائف، وبالتالي إلصاق صفات سلبية او إيجابية به -حتى قبل التعرّف إليه- مع الإبقاء على مسافة آمنة خوفاً من أن يكسر القالب النمطي لاحقاً ويثبت العكس. فماذا لو كان الجار «مجرماً» فاراً من وجه العدالة، او سجيناً سابقاً، او شخصاً ذاع صيته كـ «قتّيل قتلة»؟

(ارشيف ـ مروان طحطح)

بشرى زهوة

«جارنا زلمي محترم، وابني وَلد زغير بعدو ما بيفهم». بهذه الكلمات، يختصر إياد لـ«القوس» إجابة والدته للمرشدة الصحية في مدرسته الابتدائية، قبل 17 عاماً، بعدما أخبرها بالاعتداء الجنسي (فسّره حينها بلعبة الطبيب والمريض) الذي تعرّض له من قِبل الجار «المحترم» الذي كانت والدة إياد تتركه في رعايته حين تضطر إلى الخروج من المنزل. لم تفاتح المرشدة أحداً بالأمر، وبهذه الكلمات نجا الجار من العقوبة، «وأنا أكلت قتلة من إمّي ما بنساها لحد اليوم». يقول إياد إنه تخطّى الأمر، وهو يعمل، على نطاق ضيّق، لتوعية من حوله من أقرباء وأصدقاء على ضرورة الحذر من الجيران وعدم ترك الأطفال في عهدتهم.

الاشتباه به اذى إلى طرده

«سنكري، حرامي ومغتصب». دبّ الذعر بين سكّان مبنى في إحدى بلدات قضاء النبطية، بعدما أشيع بأنّ المستأجر الجديد، في الطابق الثاني من المبنى، سارق ومغتصب، إذ أقدم على سرقة عدة منازل أثناء عمله «سنكرياً» في الضاحية الجنوبية، وضُبط متلبّساً أثناء محاولته اغتصاب فتاة في العاشرة بعدما اقتادها إلى مبنى مهجور، فطرد وعائلته من المنطقة. تقول فاطمة التي تسكن في الشقة المقابلة: «مظهره يوحي بأنّه ادمي، لكن الحمد لله الدنيا زغيرة وعرفنا أخباره بسرعة، وإلّا كنّا كلنا بخطر، أنا وإمي عايشين لحالنا، وفي شقق بالمبنى أصحابها مغتربون». بعد شيوع الخبر، طلب صاحب المبنى من المستأجر الجديد ترك الشقة.

ماذا يجري في الطابق الارضي؟

عند السادسة صباحاً، استيقظ وليد وعائلته وسكّان المبنى، في إحدى بلدات قضاء الشوف، على صراخ الجيران الجُدد في الطابق الأرضي، وطرقات عنيفة على باب شقّتهم. خرج مرعوباً إلى شرفة شقّته ليجد البتين عسكريتين للجيش تحت المبنى المؤلف من أربع طبقات. بعد ساعة من الصراخ، شاهد الجنود يقتادون ابن الجيران مكبّل اليدين، لكن سرعان ما أُطلق سراحه بعد مدة قصيرة من دون أن يعرف أحد ماهيّة التهمة. ورغم أنّ أفراد الأسرة التي تسكن في الطابق الأرضي ودودون ويبتسمون للجيران ومتعاونون في دفع تكاليف صيانة المبنى، إلّا أنّ سكّان المبنى لا يزالون حذرين بعدما أصبح الجيران الجُدد موضع شُبهة وإزعاج دائمين، مع استمرار صراخهم العالي وتوجيه الشتائم بعضهم إلى بعض كل ليلة.

سلاح وترهيب

تقول منال لـ«القوس» إن جارتها تكاد تُفقدها صوابها، «صرلها 5 سنين بوجّي، حشورة كتير، بتفتح الباب وبتصير تسألني وين رايحة؟ ومن وين جايي؟ وقدّيش سعر أغراضي...». رغم ذلك، تخشى أن تعامل جارتها بفظاظة أو أن «تضعها عند حدّها»، لأن ابن الجارة «يحمل سلاحاً على خصره، ومعروف في الحيّ أنّه يبحث المشاكل ومدعوم من جهة حزبية». ولا تتوانى الجارة في كل مناسبة عن التغنّي بـ«بطولات» ابنها. تُضيف منال: «كل الجيران يتفادون مواجهتها لأن مش بعيدة تطالنا رصاصة من سلاح ابنها».

لكن جار منال «المدعوم» قد يكون أقل خطراً من جار ليلى: «ابن دولة، ببطلع لعندي ببدلته، فرده على جنبه وبيهددني إذا بعد بزعجه بتحريك العفش». تجزم ليلى أن جارها يفتري عليها، فهي تحرص ألا تصدر أي حركة قد تزعجه، لكنّه يطرق بابها كل فترة مهدّداً. وهي أصبحت تخشى ترك ابنتها البالغة من العمر 15 عاماً وحدها في المنزل، وبدأت بالتفكير جدّياً ببيع شقّتها.

رومنسية الجار

«كيف حالك يا جار، لَو تعرف شو صار، سرقنا من وردات وردة وشكلنا الزنّار». هي كلمات للأخوين رحباني، غنّتها السيّدة فيروز، يطغى عليها الطابع الرومنسي، كما على معظم الأغاني التي تناولت الجار. مقارنة بالروايات والسينما التي نقلت الجيرة بقطبيها الإيجابي والسلبي، بسبب قدرتها على جمع شخصيات عديدة من طباع وثقافات مختلفة، وهذا ما يجعل الجيرة مادّة غنيّة لِخبك الكثير من القصص والأشعار. فيقول أحد الشعراء: «يلومونني إن بعت بالرخص منزلي ولم يعلّموا جاراً هناك ينغّص، فقلت لهم كفوا الملام فإنّما بجيرانها تغلو الديار وترخص». وبالانطلاق من تجارب الجيرة غير الجيّدة التي ذُكرت، وفي ظل ما نشهده من تغيّرات في العلاقات بين البشر بشكل عام، وبين الجار وجاره بشكل خاص، شديد الخطورة. يرتكب الناس أخطاء كثيرة، وفي بعض الأحيان تؤدي هذه الأخطاء إلى إدانات جنائية. ومن الممكن أيضاً أن يتم اتهام شخص أو إدانته زوراً بجريمة لم يرتكبها. قد تبدو الأمور معقّدة في هذه الحالة، وقد يكون الخوف مبالغاً به في بعض الأحيان، لكن لا مانع من اتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية أنفسنا وعائلاتنا من المخاطر المحتملة.

إن قانون العقوبات اللبناني (النبذة 6، في منع الإقامة) يمنع من الإقامة المحكوم في حال الحكم عليه بعقوبات معيّنة، ما لم تقرر المحكمة خلاف ذلك. ومن الطبيعي أن يقرره قانون العقوبات لمنع تمادي المشاكل بين المحكوم وأهل المجنيّ عليه، ولتفادي عمليّات الثأر لاعتبار القانون أن وجود الجاني في مكان ارتكاب الجرم قد يؤدي إلى حدوث توترات ومشاكل مع المجنيّ عليه أو أقربائه. وقد جعله القانون إلزامياً في حالات معينة، واختيارياً في أخرى (راجع القوس، «المنع من الإقامة»، عدد 29 تشرين الأول 2022).

> **وجود الجاني في مكان ارتكاب الجرم قد يؤدي إلى توترات ومشاكل مع المجني عليه أو أقربائه**

تجنّب الاحكام المسبقة

قد يكون مفيداً أثناء التعامل مع جار غير ممنوع من الإقامة، تجنّب وضع أحكام مسبقة حوله بناءً على تاريخه الإجرامي، ومحاولة معاملته باحترام وإنصاف، للابتعاد قدر الإمكان عن لصق «الوصمة الجنائية» بهذا الفرد، معزّزين بذلك العوائق التي تقف أمام اندماجه في المجتمع.

وهو ما حدث مع علاء، من بلدة في قضاء بنت جبيل. فبعدما حوكم عام 2010 بتهمة تزوير عملات أجنبية، وتسلّم أخوه العمل مكانه «شوفير فان» لإعالة عائلته، امتنع معظم أهالي البلدة عن ركوب الـ«الفان» لأنه من «مال حرام». ولم تشفع سمعة أخيه الحسنة بالتخفيف من وصمته، بينما تعاطف البعض في البلدة مع عائلته فبدين رأياً آخر. بعد خروجه من السجن ومضي كل تلك السنوات، لا يزال علاء يحمل نقمة على ما فعله أهالي بلدته. يقول: «أعترف أنّي أخطأت لكن ما ذنب أخي وعائلتي؟». يشير علاء إلى أن أحد نزلاء السجن أخبره أنّ جاره يزور عائلته باستمرار وينعته بالبطل بسبب قتله لـ«الغريب»، أي لشخص من جنسية أخرى، ويقول: «يعني لو كنت مزوّر وناصب على حدا مكروه بالضيعة، كنت يمكن صرت بطل». فهل من الممكن أن يُصبح الجار المجرم بطلاً ومرحّباً به إذا كان جرمه يصبّ في مصلحة جاره الآخر؟

.. او «خزّيج حبوسة»

نظرية الوصم (Labeling)، هي من النظريات التي تحاول تفسير الجريمة، والتي تَنسب الأخيرة إلى بنية المجتمع. وتكمن أهمية هذه النظرية في ما لها من تأثير كبير علينا جميعاً، في الأسرة والمدرسة والعمل والمجتمع ككل. ومن أوائل الكتب التي تناولت هذه النظرية وتطبيقاتها على دراسات السلوك المنحرف، كتاب «الغرباء» (Outsiders، 1963) لمؤلّفه عالم الاجتماع الأميركي هاورد سول بيكر. حيث يذكر بيكر في كتابه (ص.9) تحت فقرة عنوانها: «الانحراف واستجابة الآخرين»، بأن «أسباب الانحراف توجد في العوامل الاجتماعية» التي تدفع الفرد نحو الانحراف. فـ«السلوك المنحرف هو السلوك الذي يصنّفه الناس». أي أنّ الفعل الذي يرتكبه الشخص يكون نتيجة لتطبيق القواعد والعقوبات التي يضعها الآخرون في المجتمع عليه، أو على الجاني -حتى بعد تنفيذ عقوبته. كمثل وصمه الدائم بـ «إجا المجرم»، «هيدا خرّيج حبوسة»، أو «صاحب سوابق». وهذا بالتالي قد يُشكّل لدى الموصوم حالة نفسية معيّنة قد تجعله غير قادر على الاندماج مع المجتمع، أو قد تدفعه نحو ارتكاب جرم جديد، أو الانضمام إلى شبكات اجتماعية منحرفة تؤيّد سلوكه السابق، وترحّب به كفرد طبيعي داخلها، خاصة أنّ «السجون في لبنان باتت «معاهد تدريب» على ارتكاب الجرائم، وأماكن للتجمع والتنسيق والتجنيد والتخطيط لمزيد من الجرائم». ولا بد من إصلاحها لتتمكن من المساهمة في تصحيح السلوك الجنائي وخفض مستوى الجريمة» (راجع «القوس»، «المؤسسة العقابية لم تز النور»، عدد 8 تشرين الأول 2022). كذلك وضع آليات لإعادة تأهيل ودمج السجناء في المجتمع، وبالتالي تعزيز ثقافة «عدم الوصم». فالعقاب الاجتماعي يبقى أشدّ وطأة على الجاني من عقاب النظام القضائي، وقد لا يتحقق إصلاح السلوك الجنائي من دون التعاون والتكاتف بين الأطراف الثلاثة: الشرطة، القضاء والمجتمع.

الرسمية gazette

عيّنة من مراسيم تمنع عدد من المحكومين من الإقامة في أماكن ارتكاب الجريمة

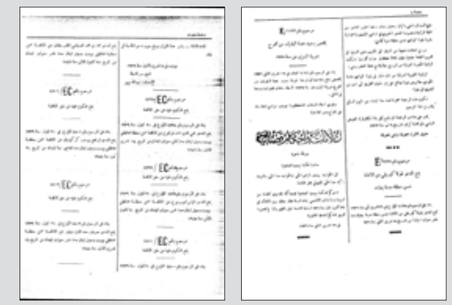

تحت القوس

البوليس وحده لا ينفع

عمر نشابة

«لدينا انخفاض في كل أنواع الجرائم (..) الجرائم تراجعت في عام 2022، وهي أقل مما كانت عليه خلال عام 2021، ما عدا موضوع تفلّت إطلاق النار في طرابلس والشمال»، قال وزير الداخلية والبلديات القاضي بسام المولوي بعد ترؤسه اجتماع مجلس الأمن المركزي الأربعاء الفائت. هذا الكلام قد يكون كفيلاً بطمأنة المواطنين، خصوصاً آلاف الزوار القادمين إلى لبنان لتمضية الأعياد ولقاء عائلاتهم والأصدقاء. لكن لا بد من التوضيح بأن كلام الوزير يتعلق بالحوادث التي:

- بُلغت القوى الأمنية عنها.
- عَلمت القوى الأمنية بحصولها.
- فُتح محضر تحقيق بشأنها.

أما الحوادث التي لم تُبلَّغ القوى الأمنية بحصولها ولم تعلم بها، أو تلك التي علمت بها لكن لم يُفتح محضر تحقيق بشأنها، فلا يمكن للوزير احتسابها. وبالتالي، يتناول كلام المولوي الجهود التي تبذلها القوى الأمنية بالنسبة للحوادث التي تقع في مختلف المناطق اللبنانية، ولا يمكن أن يكون قياساً لتطوّر نسب الجريمة في لبنان. ولا شك أن الوزير/القاضي يعلم قبل غيره بأن الحادث يمكن أن يتبيّن لاحقاً، من خلال توسّع القضاء في التحقيق، أنه ليس جرمياً.

كما لا بد من التذكير بأن هناك عدداً من جرائم السرقة أو التحرش أو الاغتصاب أو حتى التهديد بالسلاح، لا يتم تبليغ القوى الأمنية بحصولها. فقد لا تبلّغ فتاة تعرضت لمحاولة اغتصاب عن الأمر للقوى الأمنية بسبب الخوف من المتحرّش، خصوصاً إذا كان لديه نفوذ، أو بسبب خشيتها من العيب الاجتماعي ومن تحميلها مسؤولية ما تعرّضت له، أو لتجنّب الثأر. ومن يتعرض للسرقة قد لا يبلّغ القوى الأمنية بوقوعها بسبب عدم ثقته بقدرتها على استعادة المسروقات. وقد يتردد من يتعرّض للتهديد بقوة السلاح في إبلاغ القوى الأمنية بالأمر. أما بالنسبة للأسباب المتعلقة بعدم تدوين أو عدم فتح محضر تحقيق بشأن بعض الحوادث التي تبلّغت قوى الأمن عنها أو الجرائم المشهودة، فقد تشمل النقص في الموارد أو التمنّع عن القيام بالواجبات أو تدخلات في عمل الشرطة. ويستدعي ذلك تفعيل الرقشة العامة لقوى الأمن الداخلي والأمن العسكري التابع لفرع المعلومات.

> **لا تقل فعالية قوى الامن والقضاء في مكافحة الجرائم عن فعالية المجتمع والعائلة والمدرسة**

صحيح أن وزارة الداخلية وقوى الأمن الداخلي والأمن العام وأمن الدولة، نجحوا بالتنسيق مع الجيش وبمؤازرته في الحفاظ على مستوى جيّد من الاستقرار الأمني، غير أن للمجتمع دوراً محورياً في مكافحة الجريمة. فعمل البوليس والعسكر والقضاء لا يكفي. ولا تقل فعالية قوى الأمن والقضاء، في مكافحة الجرائم عن فعالية المجتمع والعائلة والمدرسة. ولا شك أن الاتكال على قوى الأمن والجيش وحتى القضاء في لبنان لا يكفي، ولا بد من إيلاء الاهتمام الكافي بالقيم الاجتماعية والخصوصيات العائلية والبرامج التربوية لمكافحة السلوك الجنائي وضبطه وتجنّب الضلوع فيه اساساً. كما لا بد من تطوير التعاون وبرامج الثقة بين القوى الأمنية والعسكرية والأهالي في مختلف المناطق اللبنانية.

وقد يكون مفيداً التذكير أخيراً أن «الشعب مصدر السلطات وصاحب السيادة» (الفقرة «د» من مقدمة الدستور).

(انجل بوليغان ـ المكسيك)

المختبر الجنائي

مع ازدياد جرائم السرقة والنشل والقتل في الآونة الاخيرة، تزداد المسؤوليات الملقاة على عاتق الشرطة القضائية صاحبة الاختصاص في التحقيقات الجنائية كضابطة عدلية متخصصة بمكافحة الجرائم، سيّما وانّ استثمار الخدمات التي يقدمها قسم المباحث العلمية في مسرح الجريمة وجمع الادلة يسهّل على المحقق كشف الحقيقة وبيان الصلة بين الادلة والمشتبه فيه. تشكّل هذه الادلة المصدر الاهم لحكم القاضي من اجل إصدار العقوبة المناسبة بحق الجناة. ومع اعتكاف القضاة عن القيام بمهامهم واستنكاف جزء من النيابات العامات عن تلبية واجباتها، يزيد العبء على الشرطة القضائية ويحدّ من فعاليتها، كيف لا وهي صلب العمل التحقيقي الجنائي العلمي الدقيق

كتاب بحث وتحرّ عن الشرطة القضائية

جنان الخطيب

"نحن نذهب وهي تبقى" يقول قائد الشرطة القضائية سابقاً العميد أنور يحيى عن قوى الأمن الداخلي في خاتمة كتابه "الشرطة القضائية في لبنان: حقائق وإنجازات". يشير يحيى في كتابه إلى حيث أصابت المؤسسة وإلى حيث أخطأت. ويتناول فصولاً من تاريخها كقائد لها. كذلك يشدد العميد في كتابه على أهمية مكافحة الفساد داخل المؤسّسة، وعلى تطوير قسم المباحث العلمية والأدلة الجنائية، وعلى التدريب المستمر للعناصر والضباط القائمين على التحقيق من أجل استخدام الأدلة الجنائية وتحليلها بطرق علمية دقيقة. وفي هذا الصدد يقول إن عمل وحدة الشرطة القضائية "التي يرتدي عناصرها اللباس المدني، هو محض جزائي عدلي يرتكز إلى البحث عن الأدلة الجنائية، والتحقيق مع المشتبه بهم والشهود والمدّعين، واستخدام أرقى أساليب التحقيقات المتجانسة مع حقوق الإنسان وليس العنف والابتزاز".

نعرض في الآتي أبرز ما جاء في الكتاب من إنجازات وتطوّرات شهدتها الشرطة القضائية، خاصة وقد كان هناك أهمية خاصة لدرس وتلبية حاجات الشرطة القضائية، وهي المتخصصة في عملها كضابطة عدلية لديها القدرات التحقيقية وهي المولجة قانوناً بالتصدي للجرائم والمحافظة على الأمن ولمواكبة الحاجات التحليلية مع تطوّر الجريمة.

من احدث الانظمة التشبيهية لمسرح الجريمة

لدى الشرطة القضائية مبنى مخصّص لمحاكاة مسرح الجريمة Crime Scene Simulation، يماثل أرقى كليّات المباحث والتحقيق في الخارج، ويُعتمد لتدريب المحققين في الوحدات العملانية في قوى الأمن الداخلي، وإجراء عدة دورات تدريبية للضباط والرتباء للتخصّص في التفتيش عن الأدلة في مسرح الجريمة. ولاطّلاع عناصر التحرّي العاملين في مكاتب وحدة الشرطة القضائية ومفارزها على تقنيات جمع الأدلة الجرمية، رفع البصمات، رفع الحمض النووي وغيرها لتنمية قدراتهم المهنية في عملهم التحقيقي.

> عمل الشرطة القضائية هو محض جزائي عدلي يرتكز إلى البحث عن الادلة الجنائية، والتحقيق مع المشتبه فيهم والشهود والمدّعين، واستخدام ارقى اساليب التحقيقات المتجانسة مع حقوق الإنسان وليس العنف والابتزاز

مكافحة جرائم المعلوماتية اصبحت اكثر فاعلية

أضحى مكتب مكافحة جرائم المعلوماتية وحماية الملكية الفكرية مجهّزاً بأحدث المعدّات والبرامج المتطوّرة، للتصدي وتوقيف قراصنة الحسابات والبريد الإلكتروني واختراق المراسلات الشخصية السرية للأشخاص والإساءة إلى سمعتهم في شتى الحقول. كما أن رتباء وضباط من الشرطة القضائية وشعبة المعلومات، التحقوا بعدّة دورات تدريبية تقنية للتحقيق في الجرائم المعلوماتية.

الكلاب البوليسية كضابطة علمية

يعمل مكتب اقتفاء الأثر ضمن قسم المباحث العلمية في وحدة الشرطة القضائية، ويضمّ عشرات الكلاب المدرّبة في اختصاص: الكشف عن المتفجّرات، الكشف عن المخدّرات، الدفاع الذاتي واقتفاء أثر المفقودين. كما يتلقّى العناصر دورات حول كيفية التعامل مع الكلاب البوليسية للكشف على السيارات والأشخاص وعلاقة الكلب البوليسي بمدرّبه.

مختبرات جنائية

تمّ تجهيز قسم المباحث العلمية في الشرطة القضائية بمختبر جنائي مؤهّل، ولا سيّما في قضايا السموم والمخدّرات والحمض النووي. إن القدرات الجديدة للمختبرات الحديثة، تشكل قفزة نوعية في حقل كشف الجرائم وتحليل الآثار والأدلة الجرمية.

لتحقيقات اكثر علمية

في سبيل تطوير النتائج الأمنية، من ضبط الأدلة إلى تقنية التحقيق الجنائي الذي يرتكز على استخلاص القاعدة من وقائع ومعلومات بهدف إظهار الحقيقة قبل كشف الجناة وتحديد الخبرات الفنية، يقترح يحيى:

- تحديد من هم المكلّفون بالتحقيق وجمع المعلومات في الجريمة، ولا سيّما الجنائية منها، ومن له الحق بالعمل داخل مسرح الجريمة، على أن يُمنع أيّاً كان من اجتياز الشريط الأصفر الذي يُنصب لتحديد بقعة مسرح الجريمة بدقّة، باستثناء عناصر قسم المباحث العلمية في الشرطة القضائية، ولا سيّما عند حضور السياسيين والصحافة والفضوليين لتفقّد مسرح الجريمة، لضمان سلامة الأدلة الثمينة التي تشكّل البراءة أو الإدانة للمشتبه فيه وكشف الحقيقة.
- إخضاع العناصر العاملين في الشرطة القضائية إلى دورات متقدّمة بتقنيات التحقيق العدلي والعلاقة مع النيابة العامة وكيفية التعاطي مع المخبرين.
- تحقّق الرؤساء العاملين في الشرطة القضائية من حيازة كلّ عنصر عامل فيها لمفكرة يدلّنها في جيبه أينما توجّه، يسجّل فيها أبرز المطلوبين في نطاق عمله، إضافة إلى ما يشاهده وله علاقة بقضايا جزائية وملفّات أمنية يتابعها، وعدم الاعتماد أحياناً. فأفضل طريقة لاستثمار المعلومات تسجيلها لسرعة العودة اليها.
- إيجاد نيابة عامة متخصّصة تبعاً لكل جريمة: مع تطور تكنولوجيا المعلومات والجرائم السيبرانية وتبييض الأموال والإتجار بالبشر وتجارة المخدرات والإرهاب، أضحى من الضرورة إيجاد قضاة ثم محققين متخصّصين بتلك الأنواع الجديدة من الجرائم.
- مكافحة الفساد في الشرطة القضائية عبر التشدّد بقمع مخالفات الفساد التي تسيء إلى سمعة الشرطة القضائية، علماً أن بعض الضباط والرتباء والأفراد قد نالوا العقوبات القاسية، ووُضع قسم منهم في الانقطاع النهائي أو المؤقت.

(مروان بو حيدر)

مسرح جريمة افتراضي

كجزء اساسي من عمليات التدريب العلمية العملية، يقوم المحققين الجنائيين بمحاكاة مسارح جريمة داخلية وخارجية، حيث يتم عرض ادلة مادية عبر تقديم تجربة واقعية لمعالجة مسرح الجريمة. يتم اتباع إجراءات دقيقة للتصوير الفوتوغرافي لمسرح الجريمة، وتقنيات الرسم، وتوثيق مسرح الجريمة. كذلك يشارك المتدربون برفع وتعبئة وتغليف الادلة.

تاريخ البوليس العدلي

يتناول الكتاب الصادر في نيسان 2022، فصول تاريخ الشرطة القضائية منذ العام 1861، وهو مقسّم إلى أربعة أقسام أساسية. يتناول القسم الأول البوليس العدلي ضمن مديرية الشرطة اللبنانية، فيما يناقش الكاتب الشرطة القضائية كوحدة ضمن المديرية العامة لقوى الأمن الداخلي في القسم الثاني. أمّا في القسم الثالث فيتناول الشرطة القضائية في ظل القانون رقم 17 تاريخ 9-6-1990 (تنظيم قوى الأمن الداخلي)، كما يستعرض في القسم الرابع فترة قيادة العميد أنور يحيى للشرطة القضائية (10-5-2005 حتى 8-10-2010). وفي تقديم الكتاب، يقول وزير الداخلية والبلديات الأسبق المحامي زياد بارود: "تتصفّح الكتاب، فتقرأ تاريخ المؤسسة، طبعاً، ولكنك تقرأ أيضاً سيرة ذاتية هنا، وسيرة إنجازات هناك. تقرأ في مآسي لبنان وصعابه، ولكنك تقرأ أيضاً في صلابة لبنان ورجالاته".

في قلب القوس

(هيثم الموسوي)

أنور يحيى *

قوى الأمن الداخلي قوى عامة مُسلّحة تشمل صلاحياتها جميع الأراضي اللبنانية والمياه والأجواء الإقليمية التابعة لها وتمارس مهامها في مجال:

1. الضابطة الإدارية: بهدف تأمين الراحة العامة، حماية الحريات في إطار القانون، منع ارتكاب الجرائم والسهر على تطبيق القوانين والأنظمة.
2. الضابطة العدلية: ممارسة مهام النائب العام في غيابه في الجرائم المشهودة، استقصاء المعلومات عن الجرائم خارج الجرم المشهود، تنفيذ التكاليف والإنابات والأحكام العدلية وتوقيف المطلوبين.
3. تقديم الدعم والمؤازرة للسلطات العامة أثناء تنفيذ مهامها وحراسة السجون والهيئات الدبلوماسية.

أوكل القانون إلى هذه القوى صلاحيات جمّة، منها احتجاز المشتبه فيه (24 ساعة احتجاز إداري، فاقد الوعي، مثلاً، نتيجة تعاطي الممنوعات في انتظار أن يستعيد رشده) وتقييد حريته، تفتيش منزله وتفتيشه جسدياً لضبط الأدلة والممنوعات، وفقاً لقانون أصول المحاكمات الجزائية وتنظيم قوى الأمن الداخلي.

هذه الصلاحيات التي تتناول حرية الإنسان وخصوصيته، جعلت المشتبه فيه ضعيفاً أمام الضابط العدلي المحقق، وكم من مرة تعرّض المشتبه فيه للعنف والابتزاز والتهديد بفضح قضاياه الشخصية، علماً أنه يمثل من دون محام أمام الضابط العدلي، الذي يكون رتيباً أو ضابطاً في قوى الأمن الداخلي.

بتاريخ 2020/10/16، أقرّ المجلس النيابي القانون رقم 191 الذي يرمي إلى تعزيز الضمانات الأساسية وتفعيل حقوق الدفاع، فأوجب تسجيل استجواب المشتبه فيه بالصوت والصورة وإمكانية حضور محاميه لكل مراحل الاستجواب، اعتباراً من 2020/12/16. غير أن أكثر من 90% من مراكز الضابطة العدلية غير مُجهّزة بهذه التقنيات، بل حتى من دون تيار كهربائي أحياناً كثيرة، ما استوجب صدور تعميم النائب العام التمييزي، القاضي غسان عويدات، بتعليق مفاعيل القانون لجهة التسجيل للاستجواب، والإبقاء على حق المشتبه فيه بتكليف محاميه حضور كل مراحل التحقيق العدلي.

إنّ المحافظة على حقوق الإنسان أثناء التقصّي والاستجواب أمر مُلزم، وأيّ خرق لهذه الحقوق عرضة للملاحقة المناسبة.

فمن يراقب قوى الأمن الداخلي أثناء تنفيذ إجراءاتها، ولا سيّما في مجال الضابطة العدلية؟

تقع مسؤولية حفظ الأمن الداخلي على عاتق وزير الداخلية (المادة 12 من المرسوم الاشتراعي رقم 83/102: قانون الدفاع الوطني)، وترتبط به الأجهزة الأمنية التالية ويكون رئيساً مباشراً لها، وهي:

1. الموظفون العاملون في المديرية العامة لقوى الأمن الداخلي
2. الموظفون العاملون في المديرية العامة للأمن العام
3. مجلس الأمن الداخلي المركزي
4. الموظفون العاملون في جهاز أمن المطار (جيش، أمن داخلي، أمن عام، جمارك، حرس المديرية العامة للطيران المدني)

يمارس بحقهم سلطات تمنحه اتخاذ تدابير تأديبية، منها: التوقيف الصارم وحسم الراتب وغيرهما.

أولاً: التدابير التأديبية

يتعرض المخالف لأحكام مدوّنة قواعد سلوك عناصر قوى الأمن الداخلي (إفشاء السر المهني، عدم صون حقوق المُشتبه فيهم والمحتجزين، استخدام العنف وارتكاب جرم الرشوة وغيرها) الصادرة عن المديريّة العامة لقوى الأمن الداخلي سنة 2011، بالتنسيق مع مكتب المفوض السامي لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة، لعقوبات يفرضها الرؤساء، وحتى وزير الداخلية، تتراوح بين التوقيف البسيط والتوقيف الصارم، النقل التأديبي، حسم الراتب، خفض الرتبة، الإحالة أمام المجلس التأديبي واقتراح الملاحقة العدلية. أناطت المادة 13 من المرسوم رقم 91/1157، فرع المعلومات في المديرية العامة لقوى الأمن الداخلي، مهمة استقصاء المعلومات المتعلقة بالأمن والانضباط العسكري لعناصر قوى الأمن الداخلي ومراقبة أعمالهم وتصرفاتهم في الخدمة وخارجها. وكم من جرائم مسلكية مسّت بسمعة قوى الأمن وأصابت ظُلماً المتداعين في سياق تحقيقات عدلية مكلفة بها قوى الأمن، وأنزل المدير العام أقسى العقوبات التأديبية بحق المرتكبين نتيجة إنجازات شعبة المعلومات.

ثانياً: الملاحقة العدلية

إن حرمان الإنسان لحريته وأحياناً لحياته، نتيجة العنف ومخالفة بنود مدوّنة قواعد السلوك، من أفظع الجرائم التي يرتكبها عنصر الأمن في سياق ممارسة وظيفته كضابطة عدلية معاونة للنائب العام. وهذه الأعمال خصّها القانون بعقوبة الحبس وقد تصل إلى الإعدام وفقاً لتقدير المحكمة.

كم من ضابط عدلي نُفّذت بحقه أحكام جزائية وتبعتها أحكام تأديبية صارمة، لضمان تقيّد المحقق أو من أولاه القانون سلطة الضابطة العدلية. فإذا أساء استخدامها يُعاقب جزائياً بقسوة، بصفته موظفاً عاماً مؤتمناً على تنفيذ القانون بتجرّد والعمل بموضوعية.

إن صدور الأحكام الجزائية عن المحاكم العدلية أو العسكرية بحق عنصر الأمن الداخلي يستتبع حتماً نيله القصاص التأديبي الصارم كونه عاملاً في مؤسّسة الأمن الداخلي، وقد تكون أشد قسوة من الأحكام الجزائية لأسباب عديدة!

ألزم قانون أصول المحاكمات الجزائية (المادة 402) كلاً من: النائب العام الاستئنافي أو المالي وقاضي التحقيق والقاضي المنفرد الجزائي: بضرورة تفقد الأشخاص الموجودين في أماكن التوقيف والسجون التابعة لدوائرهم، مرة واحدة في الشهر، للتحقق من عدم وجود موقوفين في أماكن التوقيف، أو إخلاء سبيل من أشار بتوقيفهم، ويتخذ الإجراء القانوني بحق الضابط العدلي المخالف. لكن، للأسف، أمضيت 39 سنة في قوى الأمن الداخلي، وتدرّجت بعمل الضابط العدلي بين خدمة فصيلة إقليمية (8 سنوات)، مفرزة قضائية (4 سنوات)، قيادة سرية إقليمية (3 سنوات)، ثم قيادة الشرطة القضائية (5 سنوات)، ولم أشاهد أيّ قاض يتفقّد نظارات وأماكن التوقيف في قطعاتنا!

ثالثاً: ملاحقات اخرى

تمارس كل من:

- المفتشية العامة المالية - ديوان المحاسبة - النيابة العامة المالية.

رقابة مالية بشأن سوء صرف أموال الموازنة العامة، أموال الشعب، وتفرض الأحكام المالية والجزائية المناسبة بحق المخالفين للقانون والمراسيم والأنظمة.

أخيراً، إذا كانت القوانين والأنظمة تفرض أحكاماً مالية أو جزائية بحق المخالفين لموادها، فإن أحكام ضمير الموظف، مدنياً كان أو عسكرياً، ولو كان بعيداً عن رقابة الرئيس أو القاضي، يجب أن تبقى الأشد قسوة، إذ إن تنفيذه لأحكام القانون ليس فقط تطبيقاً للعدالة وإحقاق الحق، إنما دليل رقيّ وحضارة.

* عميد متقاعد وقائد سابق للشرطة القضائية ومحلّل جنائي استراتيجي

في العمق

(هيثم الموسوي)

زيادة الرسوم القضائيّة من دون قانون

نائلة نحلة

أصبح اللبناني بحاجة إلى مبلغ يفوق ما كان يتقاضاه بأضعاف لتأمين ما كان يشتريه سابقاً، في ظل فقدان الليرة اللبنانية لقيمتها بصورة جنونية والارتفاع المهول للأسعار وانخفاض القدرة الشرائية للمواطنين. ولا يختلف وضع العاملين في المجال القضائي من قضاة ومساعدين ومحامين وكتّاب عدل عن وضع الغالبية الساحقة من المواطنين الذين خسروا في المصارف ما جنوه في سنوات طويلة، وتدنّت قيمة أتعابهم وأجورهم حتى تكاد لا تكفي لتأمين أدنى مقوّمات العيش. وكما في كل أزمة، تغيب الدولة بسلطاتها التشريعية والتنفيذية عن القيام بواجباتها للحدّ من النتائج السلبية وضبطها، خصوصاً تلك التي تمسّ بصورة مباشرة بالمواطنين. وهذا ما دفع بعض الجهات القضائية والكُتاب العدل إلى فرض رسومهم وأتعابهم الخاصة بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ما أدى إلى فوضى في فرض الرسوم التي ظهر واضحاً التفاوت في استيفائها وغياب السند القانوني لها.

ففي السجل التجاري في بيروت، يقول أحد المحامين إنه اضطر لوضع طابعين من طوابع صندوق تعاضد القضاة من فئة المئة ألف ليرة على إحدى المعاملات، بدل طوابع فئة الألف ليرة لعدم توفّرها في الصندوق. والمفارقة عدم توفّر طوابع فئة الخمسين ألف ليرة رغم طرحها حديثاً!

خلافاً لما تنصّ عليه المادة 99 من قانون الموازنة العامة للعام 2022، بأن «يستوفي صندوق تعاضد القضاة رسماً مقطوعاً قدره خمسون ألف ليرة لبنانية عن كل شكوى جزائية أو ادّعاء مباشر، يُدفع عند تقديم الشكوى أو الادّعاء المباشر وكذلك في كل مرحلة من مراحل التحقيق والمحاكمة، وأيضاً عند تقديم الدفوع والبتّ بها، وعلى كل تقرير صادر عن خبير أو طبيب شرعي أو وكيل تفليسة أو مراقب عقد صلح»، فإن النيابة العامة الاستئنافية تفرض على الشكاوى أحياناً طابعين من طوابع صندوق تعاضد القضاة من فئة المئة ألف، إضافة إلى الطوابع الأخرى.

لكن رغم أن الرسوم لا تُقر ولا تُعدّل إلا بقانون، تداول ناشطون على مواقع التواصل الاجتماعي جدولاً يبيّن أتعاباً ورسوماً جديدة للكُتاب العدل تفوق تلك المحددة رسمياً. ولا ينفي بعض الكُتاب العدل استيفاءهم الأتعاب وفقاً لهذه الجداول، معلّلين ذلك بالأكلاف التشغيلية التي يتكبّدونها، كأجور العاملين، القرطاسية، اشتراك الكهرباء وبدلات الإيجار التي تُدفع بالدولار النقدي. وإذا نظرنا إلى واقع الحال فإن غالبية العقود التي تُوقع عند الكاتب العدل لا تكون بقيمتها الحقيقية والفعلية تهرّباً من دفع الرسم النسبي. وأغلب الكُتاب العدل يعرفون ذلك، ويعتبرون أنهم لو استوفوا الرسم على القيمة الحقيقية لكانت أعلى بكثير من تلك المذكورة في الجدول، كما أن أتعاب الكُتاب العدل منفصلة عن قيمة الرسوم القضائية المفروضة في القانون والتي لا يجوز أن تُعدّل إلا بقانون.

> إن رفع الرسوم القضائية سيحرم عدداً كبيراً من المواطنين من حق اللجوء إلى القضاء

النقابة «تستانس»

أصدرت نقابة المحامين في بيروت جدولاً يحدّد الحد الأدنى لأتعاب المحامين على سبيل الاستئناس لا الفرض، كما رفعت رسم تسجيل الوكالات إلى ستمئة ألف ليرة للدعاوى. أما الرسم السنوي لتسجيل وكالة الشركات فأصبح مليونا وخمسمئة ألف ليرة لضمان الحد الأدنى من القدرة على الاستمرار، خصوصاً في ظل الاعتكاف القضائي الذي أدى بصورة غير مباشرة إلى إغلاق عدد كبير من مكاتب المحاماة.

..والوزارة تعدّل

وزارة المالية عدّلت طريقة احتساب رسم الطابع النسبي على العقود والكتابات والرسم النسبي لكتابة العدل ونقابة المحامين على الأسناد والعروض الفعلية للمبالغ الواردة بالعملة الأجنبية، بعد تحديد القيمة بالليرة اللبنانية وفقاً لسعر صيرفة في اليوم السابق لنشوء الحق بالنسبة إلى العقود، أو المصادقة بالنسبة إلى الأسناد. فعلى سبيل المثال، إذا كان عقد بيع العقار بالدولار، يُحتسب رسم الطابع 4 في الألف ورسم نقابة المحامين واحداً في الألف ورسم كتابة العدل واحداً في الألف بعد تحويل قيمة العقد إلى الليرة اللبنانية على سعر صيرفة، فيما كان يُحتسب سابقاً على سعر 1507 ليرات للدولار.

ولا شك في أن هذه الآلية لاحتساب الرسوم ستضخّ مبالغ جديدة في صندوق تعاضد القضاة أو صندوق نقابة المحامين أو الكُتاب العدل، إلا أنها تبقى غير كافية ولا تغني عن ضرورة إصدار قوانين تقضي بتعديل الرسوم لمنع الفوضى والتهرب من الرقابة وتوحيد استيفاء الأتعاب. كما لا شك في أن رفع الرسوم القضائية سيحرم عدداً كبيراً من المواطنين من حق اللجوء إلى القضاء، إذ إن الكلفة الأدنى لأي معاملة قضائية تعادل ضعف الحد الأدنى للأجور. فما بين ضرورة رفع الرسوم لإنصاف القضاة والكُتاب العدل والمحامين وما بين تمكين المواطنين المعدومين من الوصول إلى حقهم بالتقاضي الذي أضحى حكراً على الميسورين منهم، لا بد من إعادة النظر الفعلية في نظام الرواتب والأجور والنظام الضريبي اللبناني على حدّ سواء.

تنفيذ سند دين بقيمة $1,000	
تنظيم وكالة عامة قضائية	600,000 ل.ل
تسجيل الوكالة في نقابة المحامين	600,000 ل.ل
طوابع على الاستحضار (مالية قضاة محاماة)	10,000 ل.ل
رسم مالية 2,5 في المئة	$25 أو 750,000 ل.ل تقريباً
خمس الرسم لصندوق تعاضد القضاة	$5 أو 150,000 ل.ل تقريباً
أتعاب المحامي وما تبقى من المصاريف القضائية كالتبليغات	تصل إلى مليون ليرة عن التبليغ الواحد وغيرها
تنظيم السند لدى الكاتب بالعدل	يدفع رسم طابع 4 في الألف من قيمته ورسم كاتب العدل 1 في الألف ورسم نقابة محامين 1 في الألف

قاووش

وقع الأزمة الاقتصادية في لبنان اسوا على من هم داخل السجون مقارنة مع من خارجه. اجسادٌ متروكة وحدها ومكدّسة ضمن جدران اسمنتية وأبواب حديدية تبحث عن أمل في أخر النفق، لكن يبدو أن بعضهم تأقلم مع العتمة. يتساءل كثيرون عن سبب عدم اندلاع انتفاضة او عصيان بين الاف المحتجزين الذين يعانون ظروفاً صعبة خلف القضبان. حيث إن هذه الظروف كفيلة بان تجعل السجناء «يحرقون الاخضر واليابس» بحسب ما قال احدهم. لكن مايحدث عكس ذلك.. حتى الآن. فهل اصبحت الظروف الخانقة في السجون امراً طبيعياً؟ هل تأقلم السجناء مع الوضع الحالي؟

السجناء أمام حائط مسدود؟

أحمد مدلج

https://al-akhbar.com/Politics/343333

«لا شيء يدعو للتفاؤل»، يقول عماد، أحد نزلاء سجن رومية، ويضيف: «رضخنا واستسلمنا للأمر الواقع. ننتظر ابن حلال يساعدنا من برا من جمعيات او مبادرات فردية، أو إذا حدا معنا بالغرفة حَب يشاركنا ويصرف علينا».

تتفاقم التحديات والمشكلات في السجون مع استفحال الأزمة الاقتصادية والمعيشية، وتزداد نسبة الاكتظاظ مع استمرار الاعتكاف القضائي والمستوى المرتفع للتوقيف الاحتياطي والافتقار إلى تدابير بديلة. يقوّض الاكتظاظ قدرة إدارة السجون على تلبية الاحتياجات الأساسية للسجناء من الغذاء والماء والنظافة والأمن. وقد انخفضت نوعية وكمية المواد الغذائية التي توزّعها إدارة السجون، كما أدى التضخم إلى تآكل الإمكانيات المالية للسجناء. وإلى جانب ذلك، تفشل السجون في تأمين خدمات الرعاية الصحية للنزلاء، مع النقص الحاد في الأدوية المزمنة والمعدات الطبية.

يقول عماد إن تجربة العصيان السابقة التي أدّت إلى وقوع إصابات لم تحقّق أياً من المطالب. وهي، بالتالي، ليست تجربة يتطلّع إلى خوضها السجناء من جديد. «دوا ما في، والطبابة بتكلف، يعني أي مشكل أو عصيان رح يؤدي لإصابات ومن بعدها منبقى متروكين مع جروحنا وعظامنا المكسّرة». ويضيف: «عم نعيش كل يوم بيومه. بلي بدو يصير يصير. الواحد هون بروح على خيارين غير إذا صحّلنا نهرب أكيد، إما التقرب إلى الله والصلاة أو المُخدرات». (راجع الأخبار عدد 4704: «تجار خلف القضبان «يوظّفون» مروّجين ووسطاء وضباطاً وعسكريين»)

ومع ارتفاع تكاليف المواصلات، أصبحت الزيارات العائلية أقل تواتراً وانخفضت معها المساعدات المالية والغذائية للسجناء، إضافة إلى الحرمان العاطفي، ما يزيد من معاناة السجناء وذويهم. «ما عنده غير الله»، تقول والدة أحد السجناء الذي نُقل من سجن القبة إلى سجن رومية. وتضيف: «أنا ساكنة بطرابلس وما كنت قادرة زوره بالقبة كيف إذا برومية؟». أما التواصل معه فمرهون بمدى إمكانية مساعدته من قبل زملائه داخل السجن. «إذا حدا من يلي معه بالغرفة تعاطف معه بيتركه يحكي دقيقة أو دقيقتين، وبس لما يحكي معي كأني عم بحكي مع جثة عم يتحرك تمها ويطلع منها كلمات من دون ما تفهم شو عم تقول». حالها كحال ربما العديد من الأمهات وأفراد عائلات السجناء في مختلف سجون لبنان.

بعض الجمعيات تخفف المعاناة

مع عجز السجون عن تلبية الحاجات الأساسية للسجناء من غذاء ومياه سليمة ومواد النظافة الشخصية والأدوية وغيرها، يأتي دور الجمعيات الإنسانية لمد يد العون إلى السجناء، قدر الإمكان. يتحدث رئيس جمعية «عدل ورحمة» الأب نجيب بعقليني لـ«القوس» عن حالة السجون التي تزداد سوءاً يوماً بعد يوم. حيث تعاني إدارة السجون من نقص حاد في الميزانية المحددة من قبل الدولة، وبالتالي تلبّي بصعوبة بعض الحاجات الضرورية والأساسية للسجناء. فالسجناء كما أهلهم في حالة إحباط وخوف. يضيف الأب بعقليني أن الجمعيات تحاول أن تساعد السجناء وعائلاتهم قدر الإمكان خصوصاً عبر تقديم المساعدات النفسية المكثّفة، إلا أن الحاجات تزداد بشكل كبير. يشمل دعم الجمعية المساعدات الاجتماعية للسجناء وذويهم، متابعة ملفاتهم القضائية، التعليم والتدريب المهني الذي يساعد في إعادة تأهيل السجناء وانخراطهم في المجتمع.

> يفوّض الاكتظاظ قدرة إدارة السجون على تلبية الاحتياجات الأساسية للسجناء

ما يحدث اليوم في سجون لبنان مريع، نتيجة محاكم معطّلة وظروف معيشية حرجة، بحسب مديرة جمعية «دار الأمل» هدى القرى، حيث تقوم الجمعية بمساندة السجناء «عم نجرب نقدم كل اللوازم الضرورية ونساعد الكل لأن الوضع ماساوي، بس العبء علينا كتير كبير». فمع ارتفاع أسعار المحروقات والمواد الغذائية ترتفع الضغوطات على أهالي السجناء، الأمر الذي يجعلهم غير قادرين على مساعدة أولادهم، ولم تعد الزوجة قادرة على مساندة زوجها والعكس صحيح.

وتشير القرى إلى أن جمعية دار الأمل تساعد ثلاثة سجون للنساء: بعبدا، طرابلس وزحلة. وتشمل مساعدات الجمعية مختلف الأصعدة، وتشدّد على العمل مع الأخصائيات النفسيات والاجتماعيات لتقديم الدعم للسجينات، وفي الوقت نفسه لكي تكون صلة وصل بين السجينة وأهلها مما قد يخفّف من وطأة الأزمة والشعور السلبي لدى السجينات.

فقدان الأمل

قد يتعرّض كل إنسان إلى محنة ما خلال حياته، لكن ما يساعده على تخطي تلك المحن هو الأمل. توضح الدكتورة في علم النفس نجوى دعجة أن فقدان الأمل لدى السجين قد يعني أن يفقد معه معنى الحياة. وعند فقدان أي سبب أو هدف للعيش يؤدي ذلك إلى ردود فعل ثلاث:

1) اللجوء إلى العنف والشغب وقد يصبح السجين عدائياً.

2) إلحاق السجين الأذى بنفسه والإقدام على الانتحار أو تشطيب نفسه.

3) المعاناة من خمول تام، حيث لا يصدر عنه أي انفعال بل يتلقى الأحداث فقط.

تضيف دعجة أن السجين الذي يعاني من خمول تام قد يتعرّض لأمراض نفسية وجسدية ويمكن أن يتسبب ذلك بمضاعفات صحية تؤدي إلى الوفاة في حالات معيّنة. كما أجريت دراسات عدة موضوعها السجناء الذين فقدوا الأمل، تبيّن أن الغالبية منهم تفاقم وضعهم الصحي، فهم يتلقون كل الأحداث من دون إظهار أي انفعال. كما أشارت إلى أن بعض السجناء، نتيجة عجزهم ومعاناتهم، قد يصبحون عرضة لتأثير زملائهم للقيام بمشاريع مخالفة للقانون، كأعمال الشغب وتعاطي المخدرات داخل السجن وترويجها. كما قد يصيب السجناء حالة اكتئاب حاد مما يُعرّضهم لاضطرابات نفسية وعقلية قد تصل إلى درجة الهلوسة.

(من كتاب «ذاك المكان» ـ تصوير هيلم الموسوي)

الفســـــاد في الاتحاد الأوروبي

European Commission

بعد مرور أسبوع على توقيف أربعة أشخاص، بينهم نائبة رئيسة البرلمان الأوروبي إيفا كايلي على خلفية التحقيق في شبهات فساد، وبعد إشارة النيابة العامة البلجيكية إلى أن التحقيق الذي يجريه القاضي ميشال كليز يستهدف وقائع "فساد" و"تبييض أموال" في عصابة منظّمة، نعرض نتائج تقرير نشره الاتحاد الأوروبي عام 2022 عن الفساد الذي يعاني منه

990
مليار يورو
هو الحد الذي وصلت إليه الخسائر المالية السنوية الناتجة عن الفساد في الاتحاد الأوروبي

ماذا يقول الأوروبيون؟

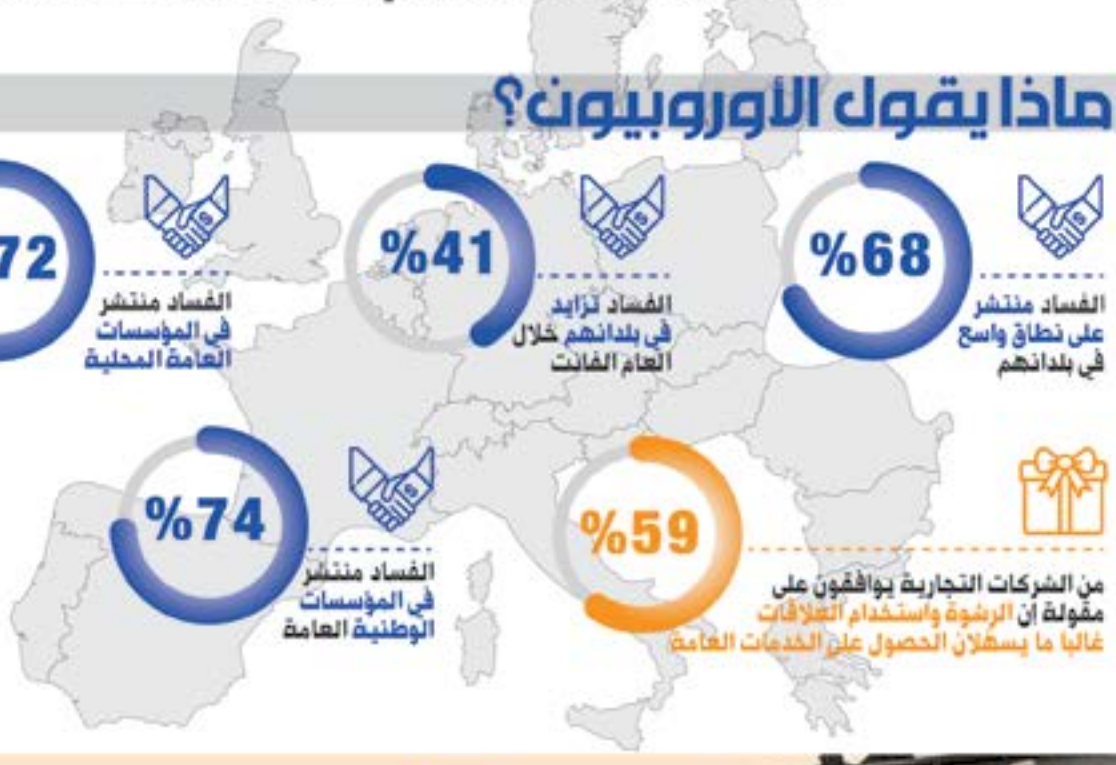

- **%68** الفساد منتشر على نطاق واسع في بلدانهم
- **%41** الفساد تزايد في بلدانهم خلال العام الفائت
- **%72** الفساد منتشر في المؤسسات العامة المحلية
- **%74** الفساد منتشر في المؤسسات الوطنية العامة
- **%59** من الشركات التجارية يوافقون على مقولة إن الرشوة واستخدام العلاقات غالبا ما يسهلان الحصول على الخدمات العامة

عدم جدّية الاتحاد الاوروبي في مكافحة الفساد

- **%58** لا يعتقدون أن الجهود التي تقوم بها الدولة لمكافحة الفساد فعّالة
- **%69** يعتقدون أن قضايا الفساد لا تُلاحق بما فيه الكفاية
- **%50** لا يعتقدون أن الإجراءات ضد الفساد تُطبّق بحياد

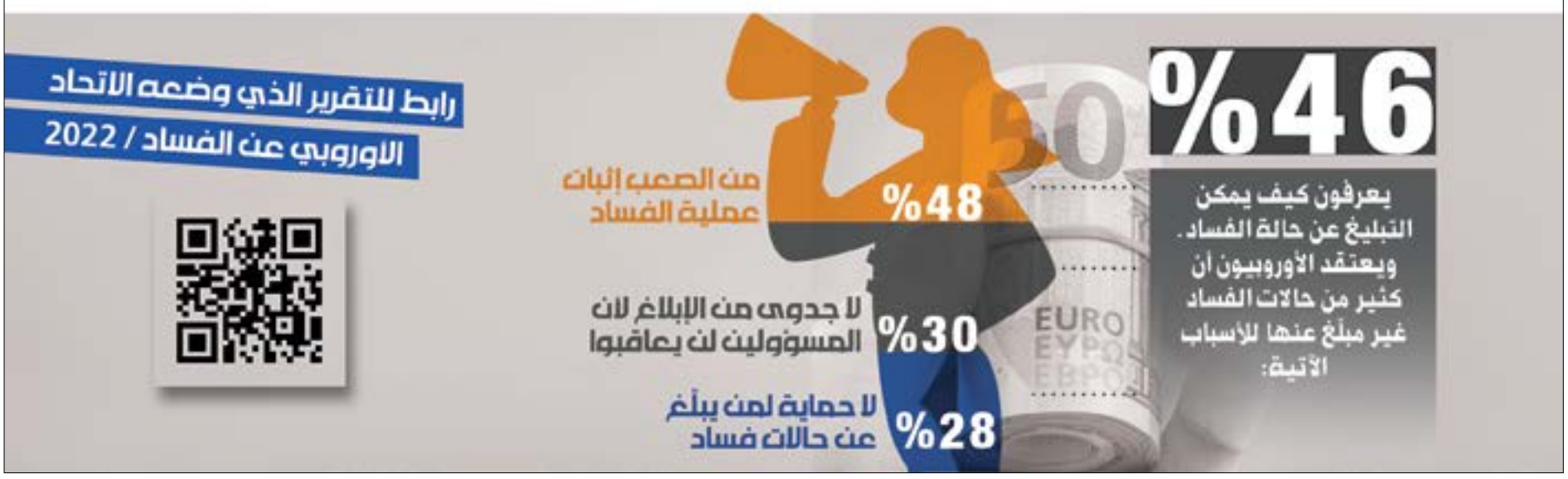

رابط للتقرير الذي وضعه الاتحاد الاوروبي عن الفساد / 2022

- **%48** من الصعب إثبات عملية الفساد
- **%30** لا جدوى من الإبلاغ لان المسؤولين لن يعاقبوا
- **%28** لا حماية لمن يبلّغ عن حالات فساد

%46
يعرفون كيف يمكن التبليغ عن حالة الفساد. ويعتقد الأوروبيون أن كثير من حالات الفساد غير مبلّغ عنها للأسباب الآتية:

القوس
■ فريق التحرير: **عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون**
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: **رامي عليّان**

alqaous alqaous22 alqaous al_qaous
01/34 99 54
www.alqaous.com info@alqaous.com